

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

أبو إسحاق الإلبيري حياته وشعره

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية (الأدب والنقد)

إشراف الدكتور/

إعداد الطالب/

حسن أحمد الشيخ الفادني

ميرغني الطاهر أحمد الفكي

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ
مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ .

صدق الله العظيم.

(سورة الشعراء، الآيات ٢٢٤-٢٢٧).

إهداء

إلى والديَّ وهذا بعض غرسهما وعند الله الجزاء الأوفى وإلى شقيقي الأصغر
الذي كان كثيراً ما يؤثرنى على نفسه.

شكر وتقدير

عرفاناً بالفضل أود أن أسدي شكري لجامعة أم درمان الإسلامية، لإتاحتها لي فرصة الدراسة والتحضير، وأخص بالشكر أسرة كلية اللغة العربية.

كما أتقدم بشكري العميق الذي أدين به لأستاذي الجليل الدكتور حسن أحمد الشيخ الفادني وذلك لما قدم لي من علمه ووقته وخبرته الكثير، وكان لدقته العلمية ولمنهجه الذي يفيض ثراءً وأياديه البيضاء الأثر العميق في إخراج هذا البحث.

وجزيل شكري لأسرة مكتبة جامعة أم درمان الإسلامية، ومكتبة جامعة القرآن الكريم، وأسرة مكتبة جامعة أفريقيا العالمية، لتعاونهم الصادق معي. وشكري العميق لأساتذتي الأجلاء ومنهم أعضاء لجنة المناقشة الموقرين آملاً الاستفادة من ملاحظاتهم القيمة وتقويمهم العلمي، والشكر موصول للدكتور مصطفى أحمد المصطفى والدكتور الطيب أحمد الفكي.

أخيراً أود من صميم وجداني أن يلقي هذا البحث الرضا والقبول وأن يكون مشعلاً على الطريق يزيح من حوله الضباب ويدفع للمزيد من الإقبال مما عجزت من الوصول إليه فإن وقع فيه نقص أو تقصير فهذا جهد المقل ووفقنا الله لما فيه الخير وهدانا لحسن القصد.

الباحث

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين.

وبعد:

في هذا البحث تحدثت عن فقيه الأندلس الزاهد العابد أبو إسحاق الإلبيري وجاء عنوان البحث بحياته وشعره. وكان منهجي في دراسته تاريخي وصفي، تحليلي، ويتكون البحث من ثلاثة فصول ففي الفصل الأول تحدثت عن حياته وعصره من الناحية السياسية والأدبية والاجتماعية.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن أغراضه الشعرية من زهد ووعظ وراثاء ومدح وهجاء وحكمة.

وفي الثالث تحدثت عن الدراسة الفنية من بناء للقصيدة ولغة وأسلوب وتجارب نفسية باعثة على قرص الشعر عنده ثم الخيال والصورة الشعرية وأخيراً الموسيقى.

وأخيراً توصلت إلى هذه النتائج:

أولاً: تميز شعر الإلبيري بأنه إسلامي بعيداً عن القومية والقبلية.
ثانياً: تميز أسلوبه بالوضوح والسهولة والمباشرة متأثراً بالرسالة التي يحملها وهي الدعوة إلى الله والإرشاد وإصلاح المجتمع.

Abstract

This thesis is on jurist of Andalusia, the pious, Abu-Isahq Al-Ilbiri, where the title of the study comprises his life and poetry. The method applied in the study is the historical, descriptive and analytical one.

The study is made chapters:

Chapter I:

It is about the poet's life and time from the political, literary and social points.

Chapter II:

It is devoted to the poet's poetic purposes, such as the asceticism, admonition, lamentation, panegyric, satire and wisdom.

Chapter III:

It is made on the poem elements such as the language, method, style, psychological cases, imagination, poetic image and metrics.

Most Important Results:

- ١. The Al-Ilbiri's style is considered Islamic more to be nationalistic or tribalistic.*
- ٢. his poetic style is seemed to be simple, implicit, clear and direct, and much affected with thought and principles in life, which are the call for Allah's path (the Da'wa), and social reform.*

مُقَدِّمَةٌ:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد.

تبقى الأندلس في وجدان وقلب كل مسلم وعربي، فهي الماضي الذي نعتر به وهي الأمل والمستقبل الذي نتطلع ونتشوق إليه، وبين الماضي المشرق والأمل وجد جرح مازال ينزف دماً إلى يومنا هذا ونتطلع إلى من يضم هذا الجرح ويخفف من آلامه وأوجاعه ويبعث فيه الحياة والأمل من جديد، فمصاب المسلمين بالأندلس من أكبر الكوارث والنكبات التي لحقت بالأمة الإسلامية.

فنحن بعقولنا إذا كنا نستطيع أن نتفهم بعض الوقائع التاريخية كالتسليم بحقيقة زوال حكم المسلمين عن الأندلس ولكن كيف بعقولنا أن نتفهم أن حضارة عريقة استمرت ثمانية قرون قد اجنتت ومن أصولها؟

يشكل الأدب الأندلسي جزءاً مهماً من الأدب العربي، ومن يتصفح دواوين ومراجع الأندلس يجد أن الأدب الأندلسي عامة والشعر خاصة يشكل مساحة واسعة من الأدب العربي. لقد كان للعرب في الأندلس وجود عظيم أثرى المكتبة الأدبية في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا التراث يجب تطوره كغيره من الحقائق والوقائع التي يهتم بها الدارسون والباحثون، ففي الأندلس أرت حضاري، ثقافي، فكري، أدبي، يستحق كل جهد يبذل في هذا الاتجاه:

موضوع البحث:

يركز موضوع البحث على دراسة الفقيه الزاهد والشاعر الواعظ أبي إسحاق الإلبيري ويكشف عن جوانب حياته المختلفة، ومكانته الأدبية والعلمية في القرن الخامس الهجري.

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: عدم معرفة الكثير من الدارسين لأبي إسحاق الإلبيري.
ثانياً: الشاعر من أعظم المتأخرين الذين وقفوا ضد اليهود وحرصوا عليهم المجتمع حتى يلفظهم.

أهمية الموضوع:

يكتسب البحث أهمية من كونه من الدراسات التي تعرّف بشخصية في القرن الخامس اشتهرت بالزهد والتقوى ومناهضة اليهود ودعوة المسلمين إلى الجهاد والوقوف في وجههم.

منهج الدراسة:

اتبعت المنهج التاريخي، الوصفي، التحليلي.

مصادر الدراسة:

لقد تنوعت مصادر هذه الدراسة بين كتب الأدب، والتاريخ، والتراجم، والدوريات، ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها هذه الدراسة: القرآن الكريم، ونفح الطيب للمقري، والذخيرة لابن بسام هذا بالإضافة إلى الكتب التاريخية وأخص منها كتاب "دول الطوائف من قيامها إلى الفتح المرابطي" للأستاذ محمد عبد الله عنان، فهو من الكتب التاريخية الهامة التي توثق لعصر ملوك الطوائف.

المشاكل التي واجهت الباحث:

لعله من اللافت للنظر حقاً أن شاعراً مثل الإلبيري رغم علو كعبه في الشعر لم يجد من يخصصه بدراسة مستقلة من الباحثين عدا الدكتور محمد رضوان الداية الذي حقق ديوانه.

أيضاً من الصعوبات التي واجهت الباحث أن شعر الإلبيري إن لم يكن كله فجّله في الزهد ونادراً ما يتخطاه إلى غيره من الأغراض.

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة والموضوع والخاتمة .

هيكل البحث:

يتكون البحث من فصول ومباحث:

الفصل الأول: حياته وعصره.

المبحث الأول: حياته.

المبحث الثاني: عصره وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحياة السياسية

المطلب الثاني: الحياة الأدبية

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية

الفصل الثاني: الأغراض الشعرية عند الإبييري

المبحث الأول: الزهد

المبحث الثاني: الوعظ

المبحث الثالث: الرثاء

المبحث الرابع: أغراض مختلفة وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المدح

المطلب الثاني: الهجاء

المطلب الثالث: الحكمة

الفصل الثالث: الدراسة الفنية

المبحث الأول: بناء القصيدة

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب

المبحث الثالث: التجارب النفسية الباعثة على قرض الشعر عند الإبييري

المبحث الرابع: الخيال والصورة الشعرية

المبحث الخامس: موسيقى القصيدة

الخاتمة والنتائج والتوصيات

الفهارس العامة: وتضمنت:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأشعار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

عصره وحياته

المبحث الأول حياته

المبحث الثاني عصره

المبحث الأول

حياته

لكي نكون بطاقة تعريفية نستطيع بها التعرف على شخصيته لابد لنا من وقفة مع الأخبار والإشارات من خلال شعره والقليل الذي وصلنا من أخباره نستطيع أن نقف على صورته بينه له.

• ولادته:

لم تحدد كتب التراجم تاريخ ولادته بالتدقيق ولكن يفترض لها صاحب موسوعة شعراء الأندلس أنها في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الهجري من أسرة عربية تنتمي إلى قبيلة تجيب المشهورة وإن نسبة الألبيري تشير إلى أنه ولد في مدينة البيرة أما وفاته فكانت نهاية سنة ٤٥٩ - ١٠٦٧م^(١).

• اسمه:

يرى أكثر من كتبوا عن الألبيري أن اسمه إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي الزاهد من أهل غرناطة يعرف بالإلبيري ويكنى: أبا إسحاق^(٢) وخالفهم في اسم جده خير الدين الزركلي^(*) وقال ابن سعيد^(٣).

(١) عبد الحكيم الوائلي/ موسوعة شعراء الأندلس/ دار أسامة للنشر والتوزيع/ الأردن - عمان/ ص ٢١.
(٢) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي بمصر، والمثنى ببغداد، ص ١٣٦.

(*) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، أديب، شاعر، مؤرخ، ولد ليلة ٩ ذي الحجة = ٢٥ يونيو. ومن آثاره ديوان شعره، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين في ٨ مجلدات، وتوفى بالقاهرة في ٢٥ تشرين الثاني عام ١٩٧٦م، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، مؤسسة الرسالة، بيروت - شارع سوريا، ص ٦٩٣.

(٣) الأعلام، ج ١، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٧٣.

• نسيه:

وفي نسب أبي إسحاق الإلبيري أنه تجيبي من اليمن من "تجيب" وقد ذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب أن ديار تجيب بالأندلس في سرقسطة ودروقه وقلعة أيوب. يعني: غالبيتهم ومعظم جماعتهم. ووجدت في المنسويين إلى البيره من هو من تجيب. فكأن جماعة قليلة من هذه القبيلة سكنت كورة البيره^(١).

• نشأته:

ونستخرج من أخبار أبي إسحاق، وهي قليلة، أنه ولد في حصن العقاب، ونشأ فيها نشأته الأولى. ثم خرج إلى البيرة، وما ندري أخرج في طلب العلم في فتوته المبكرة ليكون في رعاية بعض أقاربه في البيرة أم كان خروجه مع أهله إليها في نقلة شاملة، لسبب من الأسباب. في هذه الحاضرة استقر، واستزاد من علومه ولقي الشيوخ وروى عنهم وتبحر في العلوم الشرعية: واشتهر بالفقه والقراءات القرآنية. وكانت نقلته إلى غرناطة فرصة أخرى للقاء العلماء، ولإتخاذ مكانه بين الفقهاء، وطلبة العلم^(٢).

• مشايخه:

لقد غاب عنا أسماء شيوخه إلا من ورد عرضاً. ولكنه - لا شك - لقي من العلماء الكبار في عصر ناهض من الناحية العلمية والحضارية. من أبرز الذين تتلمذ عليهم الألبيري ابن أبي زمنين "٣٢٤ - ٣٩٩هـ - ٩٦٣ - ١٠٠٩م" وهو محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري،

(١) أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ص ٤٣١.

(٢) أبي إسحاق الإلبيري، ديوانه، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩١م.

الألبيري، نزيل قرطبه، الأندلسي المالكي، المعروف بابن أبي زمنيين "أبو عبد الله" محدث، فقيه، أصولي، مفسر، صوفي، أديب، شاعر، توفي بالبيرة في ربيع الآخر. ومن تصانيفه مختصر المدونة، منتخب الأحكام، مختصر تفسير بن سلام، حياة القلوب في الزهد، وأصول السنة^(١).

• معاصروه:

في تلك الفترة كانت الأندلس تعج بالعلماء والأدباء ولكننا سنذكر أشهر من عاصروهم شاعرنا على سبيل المثال لا الحصر.

• ابن حزم (٣٨٤هـ - ٤٥٦هـ):

وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، كانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها، وانصرف إلى العلم والتأليف له: المورد الأصلي في اختصار المحلي له، عام مصورات ٣٠٧، ٣٠٨ "ص"^(٢).

• ابن زيدون: "٣٩٤ - ٤٦٣هـ - ١٠٠٤ - ١٠٧١م"

هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي، الأندلسي، القرطبي "أبو الوليد" وزير وشاعر. ولد بقرطبه وتوفي بأشبيلية في رجب. ومن آثاره ديوان شعر، ورسالة عرفت برسالة ابن زيدون^(٣).

• أبو حفص عمر بن خلف بن محمد الهمداني: "٥٠هـ - ١١٠٧م"

هو عمر بن خلف بن مكي الصقلي أبو حفص: قاضي، لغوي، محدث أندلسي، ولي قضاء تونس وخطابتها وكانت خطبه من إنشائه. وصنف

(١) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج٣، ص ٤٤٨.

(٢) عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي، معجم مؤلفي المخطوطات مكتبة الحرم المكي، الرياض، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ص ٥٨.

(٣) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، ص ١٧٧.

"تنقيف اللسان" في ١٥٣ ورقة، في مكتبة ولي الدين جار الله بأستنبول، الرقم ١٧٢٥ علق عليه الميمني بأنه صالح للنشر^(١).

• ابن شهيد: "٩٩٢ - ١٠٣٥"

أبو عامر أحمد بن عبد الملك الأشجعي، أديب ولد ومات بقرطبه. كان من أسرة كريمة أتاحت له العلم والأدب والثراء. وزير للمستظهر وهشام. وسجنه علي بن حمود ونفي إلى حصين أبي شريف، وأصيب بالفالج في آخر عمره الذي قضاه في اللهوه. وهو أول من لقب بذي الوزارتين بالأندلس. ونظم أجمل شعره في مرضه اشتهر برسالة "التوابع والزوابع" المقاربة لرسالة "الغفران" للمعري والتي يرى بعض الأدباء إنها من الآثار العربية التي أثرت في الشاعر الإيطالي دانتي. وألف كتباً دينية أخرى مثل "حانوت عطار" و"كشف الدك" وجمع شعره شارل بلا وطبعه بلبنان ١٩٦٣م ثم يعقوب زكي بمصر^(٢).

• عبد الله الغسال: "٤٨٧هـ - ١٠٩٤م"

أبو عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي الطليطي الأصل، الغرناطي الموطن ويعرف بابن الغسال "أبو محمد" فقيه مشارك في الحديث، والأدب، والنحو والتفسير والوعظ توفي في عام ٤٨٧هـ عن نيف وثمانين له تأليف في الوعظ، وأشعار.

ذكره ابن الأبار في ترجمة أبي إسحاق وقال فيه: "وسلك مسلكه أبو محمد الغسال الطليطي، وكانا فرسي رهان في ذلك الزمان صلاحاً وعبادة"^(٣).

(١) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٥، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ص ١٠٨٥.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، دار الجيل بيروت، القاهرة، تونس الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ص ٢٦.

(٣) أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، تصحيح وتعليق: إ. لافي برفنصال، ص ٤٠.

وكانه عني السير على منهجه في الزهد والعبادة والمسلك الإجتماعي. وقد اشترك ابن الغسال مع أبي إسحاق في التنبيه على المشكلات الإجتماعية الطارئه، المسيطرة، التي أدت إلى التقاعس والخمول والتضييع، في الدعوة إلى الجهاد ومحاربة العدو بلا هوادة. وفي الدعوة إلى رفع الظلم عن الناس، وفي الدعوة العارمة إلى الزهد، وإنما يقصد الشاعر الزاهد أولاً إلى تلطيف سلوك الناس المنذفين إلى ملاذ الحياة وشواغلها وبهرجها والإشراف عليها في وقت يتطلب التقشف، والجهاد والمجاهدة، والجد. وفي سنة ٤٥٦ عندما غزيت بربشتر^(*) وقتلوا عامة رجالها وسبوا فيها من ذراري المسلمين ونسائهم ما لا يحصى كثرة، ويذكر أنهم أختاروا من أبنكار جوارى المسلمين وأهل الحسن منهن خمسة آلاف جارية فأهدوهن إلى صاحب القسطنطينية وأصابوا فيها من الأموال والأمتعة ما يعجز عن وصفه.

وفي ذلك يقول ابن الغسال:

ولقد رمانا المشركون بأسهم *** لم تخط لكن شأنها الصماء
هتكو بخيلهم قصور حريمها *** لم يبق لا جبل ولا بطحاء
باتت قلوب المسلمين برعبهم *** فحماتنا في حربهم جناء
كم موضع غنموه لم يرحم به *** طفل ولا شيخ ولا عذراء
ولكم رضيع فرقوا من أمه *** فلهو أليها ضجة وبغاء
ولرب مولود أبوه مجدلٌ *** فوق التراب وفرشه البيداء
ومصونة في خدرها محجوبة *** قد أبرزوها مالها استخفاء^(١)

(*) هي مدينة من بلاد برطانيه بالأندلس، وهي حصن على نهر مخرجة من عين قريية منها. وبرشتر

من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والأمتاع. ياقوت الحموي معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧١.

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، تصحيح وتعليق: إ. لافي بروفنسال،

وعزيز قوم صار في أيديهم *** فعليه بعد العزة استخذاء
لولا المسلمين وأنهم *** ركبوا الكبائر مالهن خفاء
ما كان ينصر للنصارى فارس *** أبداً عليهم فالذنوب الداء^(١)
كان القرن الخامس الهجري، في ظل دول الطوائف، منطلقاً لعدد غير قليل
من الشعراء لنظم شعر الزهد. لأن النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية
أيضاً - سمحت بمثل هذا الاستغراق في شعر الزهد، فقد شحذت هذا النوع
من الشعر^(٢). "فوضى الحياة السياسية، وزادت في حب الخلاص لدى الفرد
من غوائل الحياة وشجعتة على طلب النجاة لنفسه حين كان يرى الأوضاع
الاجتماعية تزداد سوءاً، وأصبح الزهد لدى بعض أصحابه مذهباً أدبياً
أخلاقياً معاً، كما كان عند أبي العتاهية في المشرق"^(٣).
ومن الذين عاصروا الألبيري ومالوا إلى القول في الزهد:

• أبو القاسم السميسر:

وكان زهده باللسان دون الاعتقاد به والإعتماد له مذهباً، لقد زهد شعره
حين قصرت أحواله عن مطالبه ومن شعره في الدنيا وحقيقة موقف
الناس منها:

الله في الدنيا وفي أهلها *** معميات قد فككناها
ومن بشر نحن فمن طبعنا *** نحب فيها المال والجاهها

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري، صفة جزيرة الأندلس، تصحيح وتعليق: إ. لافي بروفنسال،
ص ٤٠.

(٢) د. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق
- سوريا، ص ٨١.

(٣) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط ١، بيروت، دار الثقافة،
١٩٦٢م، ص ١٣٠.

وهذا موقف صريح جداً، بالغ الإسراف في التعميم، وقياس الناس علي مثل واحد. وهو موقف مبني على "سوء الظن بالناس، وعدم الإطمئنان إليهم"^(١).

• ابن الحداد^(*):

وقد تكون الفلسفة - لا التقوى - مصدراً من مصدراً من مصادر شعره

وكان من مداح المعتصم بن صمادح صاحب المريه ومنه قوله:

لَزِمْتُ قَنَاعَتِي وَقَعَدْتُ عَنْهُمْ *** فَلَسْتُ أَرَى الْوَزِيرَ وَلَا الْأَمِيرَا
وَكُنْتُ سَمِيرَ أَشْعَارِي سَفَاهَا *** فَعُدْتُ لِفَلْسَفِيَّاتِي سَمِيرَا

• أحمد الأقليشي:

أيضاً نحا هذا المنحى وكان زاهداً عازفاً عن الدنيا ومن شعره قصيدة يتوجه فيها بالحديث إلى نفسه في مناجاة يشوبها شيء من التلوم، على عادتهم في تضخيم الذنوب أو اعتذار الهفوات، أو تسجيل التقصير وعدة من الذنوب، ومنها قوله:

ثلاثون عاماً قد تولت كأنها *** حلوم تقضت أو بروق خواطف
وجاء المشيب المنذر المرء أنه *** إذا رحلت عنه الشيبية تألف
فيا أحمد الخوان قد أدبر الصبا *** وناداك من سن الكهولة هاتف
فهل أرق الطرف الزمان الذي *** وأبكاه ذنب قد تقدم سالف؟
فجد بالدموع الحمر حزناً وحسرةً *** فدمعك ينبى أن قلبك آسف^(٢)

(١) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ١٣٥.

(*) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الغيسي الأندلسي، شاعر وأديب، من أبناء القرن الخامس الهجري، له ديوان شعر كبير وكتاب في العروض. دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، مج ٢، ص ٤٣٩.

(٢) د. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، دار الفكر، دمشق - سوريا، ص ٨٢.

• ابن الريوآلي:

وهو أيضاً من الشعراء الزهاد من صدروا في شعرهم الزهدي عن قناعة ورأي وهو من "العلماء الأتقياء العاملين بعلمهم"^(١) ومن شعره الزهدي:

يا معجباً بعلائه وغنائه *** ومطولاً في الدهر حبل رجائه
كم ضاحك أكفانه منشورة *** ومؤمل والموت من تلقائه

• إسماعيل الفهري:

وكان أهل زمانه يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه ومن شعره الزهدي:

يا غافلاً شأنه الرقاد *** كأنما كأنما غيرك المراد
والموت يرعاك كل حين *** فكيف لم يجفك المهاد^(٢)

• ثقافته:

ليس أمامنا ثبت بالعلوم التي درسها الشاعر فكونت ثقافته وبوآته مكانه الرفيع، ولم تذكر لنا كتب التراجم الشيوخ الذين تتلمذ عليهم شاعرنا سوى ابن أبي زمنين، ولكننا نعرف "إن مناهج الدراسة الأولى في التعليم عند الأندلسيين كانت تتناول كتابة الخط وقراءة القرآن وتعلم النحو والصرف ورواية الشعر، أما التعليم العالي عندهم فيقوم على تفسير القرآن الكريم ودراسة علوم الدين والفلسفة وأصول اللغة العربية والشعر وعلم المفردات والتاريخ والجغرافيا"^(٣).

(١) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ص ١٣٢.

(٢) د. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، ص ٨٣.

(٣) أحمد بن عبد الله بن أحمد، ديوان بن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٤.

ومن الطبيعي أن شاعرنا سلك هذه السبل، والدارس لآثاره الأدبية يرى
صدى لشتى المعارف والفنون في هذه الآثار. فيرى كثيراً من التعبيرات
القرآنية وإشاعاً من الأحاديث النبوية.

• مكانته الأدبية:

كانت للألبيري مكانه علمية وأدبية متميزة عند النقاد وأهل الأدب فقد
وضعه في مكانه تدل على تميزه ومكانته.

يقول القاضي عياض^(*): "إنه من أصحاب عبد الله بن أبي زمنين
وروى عنه كتبه وكان فقيهاً معظماً في وقته عليه تفقه عبد الواحد بن
عيسى ابن الهمداني فقيه غرناطة وروى عنه كتب ابن أبي زمنين"^(١).

كذلك تحدث عنه ابن الأبار^(*) وقال: "كان من أهل العلم والعمل
شاعراً مجوداً وشعره مدون وكله في الحكم والمواعظ والإزهاد"^(٢).

أيضاً من الذين تناولوه بالترجمة أحمد^(*) بن يحيى بن عميرة الضبي
وقال عنه: "إنه فقيه، قاضي، زاهد، عارف، كثير الشعر في ذم الدنيا مجيد

(*) القاضي عياض: (٤٩٦١ - ٥٤٥ هـ - ١١٠٣ - ١١٤٩ م)

عياض بن موسى بن عياض، المالكي ويعرف بالقاضي عياض محدث، حافظ، مؤرخ، ناقد، مفسر، فقيه،
أصولي عالم بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم شاعر وخطيب أصله من الأندلس، ومن
تصانيفه الكثيرة، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، والإلماع في أصول الرواية والسماع وغيرها.

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، ج ٣، منشورات مكتبة الحياة،
بيروت، ص ٨٢٨.

(*) ابن الأبار: هو محمد بن عبد الله ابن أبي بكر الأندلسي الشهير بابن الأبار، فقيه، حافظ، مقري،
نحوي، لغوي، كاتب، مؤرخ، محدث، أديب، شاعر، ومن آثاره وفاده الوفادة وغيرها ولد ببطنسية في
ربيع الثاني وقتل بتونس في ٢٠ المحرم.

(٢) التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي بمصر والمثني ببغداد، ص ١٣٦.

(*) الضبي: (٥٩٩ هـ - ١٢٠٣ م)

أحمد بن يحيى بن عميره الضبي "أبو جعفر" مؤرخ، ومن رواة اللغة والشعر، ولد في مدينة بلش
بالأندلس وقد ركب متن الأسفار في شمال أفريقيا وطوف بلاده ومن آثاره بغية المتلمس في تاريخ رجال
أهل الأندلس. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ٣٢١.

في ذلك" (١). وصاحب الأعلام ذكر أنه: "شاعر أندلسي أصله من حصن العقاب، اشتهر بغرناطه وأنكر على ملكها كونه أستوزر ابن النغريلة اليهودي فنفي إلى البيرة" (٢).

يقول البلوي (*): "كان الأستاذ الفقيه أبو عبد الله بن سودة شيخي رحمه الله يحمل طلبته على حفظه" "يعني شعر الألبيري" لجودته (٣).

ولعل أهم نص توقف أمامه الدارسون، من العرب والمستشرقين هو قصيدة أبي إسحاق الألبيري التي مطلعها:

أَلَا قُلْ لِّصِنَاهَا جَهَنَّمُ أَجْمَعِينَ *** بُدُورِ النَّدِيِّ وَأَسَدِ الْعَرِينِ (٤)
وهو نص كتبه الشاعر يحرض فيه الحاكم حيوس بن باديس على وزيره اليهودي يوسف بن النغريلة الذي استبد وطغى. وفيه يصف اليهود بأنهم كفار، وقرود أرذل، ويستخفون بالمسلمين و يتناولون على الصالحين، وأنهم فراه الزنا وفاسقون وكلاب وجبناء، وسحرة، وبشر يكنزون المال لنقرأ هذه الأبيات:

وَكَيْفَ تُحِبُّ فِرَاحَ الزِّنَا *** وَهُمْ بَغْضُوكَ إِلَى الْعَالَمِينَ
وَكَيْفَ اسْتَمْتَمَ إِلَى فَاسِيقٍ *** وَقَارَنْتَهُ وَهُوَ بِئْسَ الْقَرِينُ

(١) كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس، ص ٢١٠.

(عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١، ص ٣٢١).

(٢) الأعلام، الجزء الأول، دار العلم للملايين، ص ٧٣.

(*) يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوي، المالقي، الأندلسي، المالكي أديب لغوي ولد بمالقة ومن آثاره العلمية كتاب ألف باء وتكميل الأبيات وتتميم الحكايات.

(كحالة، معجم المؤلفين، ج ٤، ص ١٨٠).

(٣) عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، ط دار أسامة للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٢١

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ١٠٨.

فَقَدَّ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ *** وَكَادَتْ تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينَ
تَأَمَّلْ بَعَيْنَيْكَ أَفْطَارَهَا *** تَجِدُهُمْ كِلَاباً بِهَا خَاسِنِينَ
وَهُمْ يَقْبِضُونَ جِبَايَاتَهَا *** وَهُمْ يَخْضِمُونَ وَهُمْ يَقْضِمُونَ
فَبَادِرِ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً *** وَضَحِّ بِهِ فَهُوَ كَبَشٌ سَمِينٌ
وَلَا تَحْسِبَنَّ قَاتَلَهُمْ غَدْرَةً *** بَلِ الْغَدْرُ فِي تَرْكِهِمْ يَعْثُونَ
وَقَدْ نَكَثُوا عَهْدَنَا عِنْدَهُمْ *** فَكَيْفَ تَلَامُ عَلَى النَّاكِثِينَ
وَنَحْنُ الْأَدْلَةُ مِنْ بَيْنِهِمْ *** كَأَنَّا أَسْنَا وَهُمْ مُحْسِنُونَ
فَكَمْ مُسْلِمٍ فَاضِلٍ قَانِتٍ *** لِأَرْذَلِ قَرْدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(١)

تنهض شهرة أبي إسحاق بين المسلمين على أعماله الزهدية بخاصة،
ولكن شهرته بين الأوربيين تعود في المقام الأول إلى قصيدته الشهيرة التي
توجه بها إلى بربر صنهاجه.

يحرصهم على اليهودي يوسف بن النخريه، وزير الملك بن باديس.
وهي القصيدة رقم ٢٥ في الديوان. والحق أن القصيدة تستحق ما حظيت به
من شهرة. ولا نعرف إلا في القليل النادر أن أبياتاً من الشعر لعبت دوراً
سياسياً مباشراً في التاريخ السياسي لأمة من الأمم. فكهربت العزائم، ودفعت
بها في سرعة خاطفة إلى إشعال الحرائق، وشحذت السيوف للقتل، كالدور
الذي لعبته هذه القصيدة. لم يحدث أبداً أن كان البغض ذا بصيرة، ولا
الشراسة أكثر فطنة، كما حدث في هذا اليوم. ومن المثير حقاً، أن نرى في
قرن واحد الشعر غارقاً في الصناعة، والشعراء مولعين بنظم النجوم،
والتوهان في الحقائق، وحتى ما تعرض له من إشارات سياسية، يأتي عابراً
كوخز الإبر الناعمة، أو مخبأ كالتطعم المسمومة في مهارة. لكن هذا^(٢)

(١) الإلبيري: ديوانه، ص ١٠٩.

(٢) إميليو غرسية غومث، انظر مع شعراء الأندلس والمنتبي، نقله إلى العربية الدكتور: الطاهر مكي، ط
دار الفكر العربي، الطبعة السابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٩٧.

الشيخ لا يهدأ، أنه برعم وفيّ لدم عربي، وابتعد الشاعر في هذه القصيدة عن الكلمات الغامضة والبحور المعقدة، وعن الرموز الشعرية، وعن الأوصاف والأقوال المكروره في مصنع الشعراء. فأخذ من العربية أشد الكلمات قوة وصلابة، الألفاظ التي يمكن أن يفهمها كل مسلم قادر على قراءة القرآن. وبعد ذلك جاء بكثير من الصور الدقيقة: هؤلاء اليهود الذين كانوا من قبل يبحثون في الزباله عن خرقة مهترئه يكفنون بها موتاهم. أصبحوا الآن يفتسمون غرناطه فيما بينهم، ويقبضون الجبايات، ويتأنقون في اللباس، ويردف كل قوله مما سبق بنقيضها الملائم لها: "وأنتم أيها السادة الصالحون، ترتدون وضيع الثياب، أنتم المساكين الجوعى، وهم يسرقونكم، وأنتم على أبوابها تتسولون". لعل الشعر الأندلسي لم يعرف أبداً البساطة عارية كما عرفها في هذه القصيدة، وفي الوقت نفسه لم ير قصيدة مثلها، يلفها مثل هذا الإعصار من المشاعر لقد اجتاحت أنغامها، حية متوهجه، أعماق المدينة، مع زفير النيران، وحشجة الموتى^(١).

قال ابن خلدون^(*): "كان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الإجابة في الغالب، ولا يحذق فيه إلا الفحول... لأن معانيها متداولة بين الجمهور مبتذلة لذلك"^(٢).

(١) إميليو غرسية غومث، انظر مع شعراء الأندلس والمنتبي، ص ٩٧.

(*) ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن خلدون الأشبيلي الحضرمي القاضي ولد سنة ٧٣٢ بتونس وتوفى سنة ٨٠٨هـ بالقاهرة له. تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي. وله عنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر في التاريخ سبع مجلدات مطبوعة بمصر.

(إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج ١، منشورات مكتبة المثنى ببغداد، ص ٥٢٩).

(٢) المقدمة، ج ٢، حققها وضبط كلماتها وشرحها وعلق عليها وعمل فهرسها: د. علي عبد الواحد وافي، ط ٢، بيروت، لجنة البيان اللغوي، ١٩٦٨م، ص ٣٧٧.

(وعلى الرغم من هذه الصعوبة اقتحم شعراء من القرن الخامس
غرض الزهد، وتفاوتت فيه مستوياتهم بدون شك وقد كونت أشعار أبي
إسحاق الإلبيري وحده ديواناً كاملاً أغلبه في الزهد)^(١).
واقترح الشعراء لهذا الضرب من الشعر بالرغم ما ذكر فيه من
صعوبة وابتذال معاني، يدل دلالة واضحة على تمكنهم وسعة ثقافتهم
واتساع مداركهم.
وأيضاً نلمح من خلاله التزامهم تجاه مجتمعاتهم لأن المجتمعات
وقتذاك كانت في حاجة ماسة لمثل هذا الشعر ليكبح جماح تلك النفوس التي
انحرفت وراء رغباتها المشروعة وغير المشروعة.

(١) د. عبد الحميد عبد الله الهرامة، نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ،
ليبيا، ١٩٧٨م، ص ٧٤.

المبحث الثاني

عصره

المطلب الأول:

الحياة السياسية

المطلب الثاني:

الحياة الأدبية

المطلب الثالث:

الحياة الاجتماعية

المبحث الثاني عصره

المطلب الأول: الحياة السياسية:

إذا أردنا أن ندرس دراسة منهجية لأدب ما أو دراسة تطبيقية لشاعر شاعر معين. فإنه يجدر بنا أن ندرس العصر الذي نشأ فيه هذا الأدب، وذلك الشاعر لأن الأدب يعبر عن تأثير شخصية الأديب بالواقع الذي يعيش فيه، فيأتي شعره معبراً عن نفسه وعن واقعه من حوله والشاعر يجب أن يكون صادقاً مع نفسه ووجدانه حتى يكون فنه إنعكاساً لبيئته وواقعه ومجتمعه.

كان انهيار الخلافة الأموية، والسلطة المركزية وما اقترن بذلك من الفوضى الغامرة. فرصة سانحة لظهور الزعامات البربرية، وقد كانت دولة بني مناد في غرناطة، من أقوى الدول البربرية في الجنوب. وبني مناد يرجعون في الأصل إلى قبيلة صنهاجة البربرية الشهيرة، وهي بطن من بطون قبيلة البرانس الكبرى. وكان زعيمهم زيري بن مناد من أعظم أمراء البربر. وقد حارب قبائل المغرب المخالفة للعبديين مع جوهر قائدهم وقتل في بعض المعارك، فخلفه ولده بلكين.

وبعد أن فتح المعز مصر أختار بلكين لولاية أفريقية، ثم خلفه على ولايتها ولده المنصور، ثم خلف المنصور ولده باديس بن المنصور وقد حدث أيام ولاية باديس بن المنصور على أفريقية.

حدثت له فيما بعد أكبر صدى في حوادث الأندلس. ذلك أن باديس استبد بقومه آل مناد. ووقعت بينه وبين أعمامه وأبيه فتن ومعارك، قتل في أثنائها، عم أبيه ماكسن بن زيري بن مناد^(١):

(١) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، القاهرة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية،

فاستوحش الباقون من عاديته، وعولوا على مغادرة أفريقية^(١).
وبدأت ولاية حبوس لغرناطه ٤١١ هـ حسبما تقدم في أخبار الفتنه
فسار حبوس سيرة حسنة، فضبط النظام والأمن وقسم الأعمال بين أقاربه
وبني عمه، واتسعت رقعة مملكته^(٢).

ويشيد ابن حيان^(*)، وقد عاصر هذا العهد بخلال حبوس فيقول: "إنه
كان على قسوته يصغي إلى الأدب وينتمي في العرب للأثر المقفو في قومه
صنهاجة وكان وقوراً حليماً فظاً مهيباً، نذر الكلام، قليل الضحك، كثير
الفكر، شديد الغضب، شجاعاً، حسن الفروسية، جباراً متكبراً، داهية واسع
الحيلة، كامل الرجولة، له في ذلك أخبار مأثورة"^(٣).

عندما أخذ الضعف يدب في جسم الدولة الأموية بعد أن استبد
العامريون بأمر الخلافة. بدأ رؤساء الطوائف يستقلون بالإمارات التي
يحكمونها فعرفوا بملوك الطوائف^(٤).

وساعدهم على ذلك خطن إرتكبهما بنوا أمية أثناء الفتنه البربرية،
أحدهما: استعانتهم بملوك أسبانيا النصرانية في الصراع على عرش
الخلافة، مما قضى على هيبة الخلافة، ودل على ضعف الحماس الديني،

(١) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، القاهرة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الطبعة الثانية،
١٩٦٩م، ص ١٢١.

(٢) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، ص ١٢٢.

(*) ابن حيان: (٦٥٤ - ٧٤٥) - (١٢٥٦ - ١٣٣٤م)

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي أديب، نحوي، لغوي، مفسر،
محدث، مقرئ، مؤرخ، توفي بالقاهرة ١٨ صفر ومن تصانيفه الكثيرة، البحر المحيط في تفسير القرآن،
تحفة الأديب بما في القرآن من الغريب، عقد ألالفي في القراءات السبع العوالي وغيرها من
المصنفات. (رضا كحالة، معجم المؤلفين، ج ٣، مؤسسة الرسالة، ص ٧٨٤).

(٣) أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر، ١٩٤٢م، ص ٤٠٤.

(٤) د. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ط ١٩٦٥م، ص ٢٤.

فاستهان بهم الناس وأصبحوا لا ينظرون إليهم كما كانوا ينظرون من قبل إلى الناصر أو المستنصر.

أما الخطأ الثاني الذي ارتكبه بنو أمية في فترة الفتنه فهو أنهم تركوا أقاليم الدولة وولاياتها تقع في أيدي عناصر الصقالبه والبربر^(١). وقد أصبحت المدن الهامة في الأندلس عواصم لهذه الدويلات الصغيرة ومن أهم هذه الدويلات^(٢).

• الدولة الزيرية:

استقلت في غرناطة سنة ٤٠٣هـ وهي دولة بربرية.

• الدولة الحمودية:

استقلت في عهد المستعين الأموي سنة ٤٠٧هـ وهي شيعية من المغرب تنسب إلى إدريس من سلالة الحسن بن علي.

• الدولة الهودية:

في سرقسطه وهي دولة عربية أشهر ملوكها المقتدر بالله.

• الدولة العامرية:

في بننسيه سنة ٤١٢هـ وهم من موالي بني عامر.

• الدولة العبادية:

في إشبيلية ٤١٤هـ وهي عربية من بني لخم من ولد النعمان بن المنذر.

(١) د. رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري بالقاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ص ٢٧٣.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون المغربي، تاريخ العلامة بن خلدون منشورات الكتاب اللبناني للطباعة والنشر. ص ١٢٠.

• دولة بني الأقبس:

في بطليوس سنة ٤٢١هـ وكانت دولة متحضرة نهضت بالعلوم والفنون.

• الدولة الجهورية:

في قرطبه سنة ٤٢٢هـ قامت بعد سقوط الخلافة الأموية.

• دولة ذي النون:

في طليطه سنة ٤٢٧هـ وهي بربرية من قبائل هواره^(١).

والواقع أن هذه الدول الصغيرة، التي قامت على أنقاض الأندلس الكبرى. لم تكن - إذا استثنيا القليل منها - تستطيع الحياة بمفردها، أو تستطيع الاستقلال بثئونها السياسية أو العسكرية، وإنما كانت دول الطوائف أقرب منها إلى وحدات الإقطاع^(٢).

لقد كان ملوك الطوائف ضعافاً في وطنيتهم، ضعافاً في دينهم وكان ملك قشتالة يعاملهم معاملة الأتباع ويبتز منهم الأموال الطائلة^(٣).

وقد كان الطابع السياسي لتلك الفترة، هو الطابع الاستبدادي، ففيه القوة التي تحمل الضعف، والإنصار الذي ينطوي على الهزيمة، والصعود الذي ينذر بالهبوط ذلك لأن القوة كانت قوة الحاكم لا قوة الشعب، والإنصار كان انتصار الطمع لا انتصار المبدأ. كما كان الصعود صعوداً إنتهازياً، لا تسنده دعائم من القيم تضمن له البقاء^(٤).

(١) د. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي. ص ٣٥.

(٢) محمد عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٤١٩.

(٣) أبي الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص ١٢٩.

(٤) د. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، الطبعة العاشرة، ١٩٨٦م، ص ٢٦٦.

- كان للأندلسيين خطط لتنظيم أعمال الحكم في البلاد، تبدأ بالوزارة. وصار اسم الوزارة عاماً لكل من يجالس الملوك ويختص بهم.
- وكانت الكتابة عندهم على ضربين، أعلاهما: كاتب الرسائل وهو كاتب أديب يتولى كتابة الرسائل الرسمية وغير الرسمية.
 - والكاتب الآخر كاتب الزمام، وهو كاتب حسابي، وكانوا يلاحظون أن لا يكون نصرانياً ولا يهودياً، لأن عظماء الناس ووجوههم يحتاجون إليه، وهم يأنفون أن يحتاج المسلم لمن ليس من دينه.
 - وصاحب الخراج أو الأعمال الخراجيه كان أعظم من الوزير، وأكثر إتباعاً وأجدي منفعة.
 - وخطه القضاء أو وظيفة القضاء بالأندلس كانت أعظم الخطط أو الوظائف وأسامها عند الخاصة والعامة، لتعلقها بأمور الدين، ولأن القضاة كان لهم سلطة كبيرة، حتى يستطيع القاضي أن يستدعي الأمير أو الخليفة للمثول أمامه. وكان لا يشغل مناصب القضاء سوى أكابر العلماء والفقهاء.
 - أما خطة الشرطة بالأندلس فكان يعرف صاحبها عند العامة بصاحب المدينة، وصاحب المدينة هو الذي يحد على الزنا وشرب الخمر، وكثير من الأمور الشرعية.
 - **خطة العسس:** وهؤلاء كانوا يعرفون في الأندلس "بالدرايين" لأن بلاد الأندلس لها دروب بأقفال تقفل عليها بعد العتمة.
 - **خطة الحسبة:** كان يتولاها عالم فطن كأنه قاض، وكان يتمثل عمله في المرور على الأسواق ركباً، ومعه أعوانه وميزانه، فيزن الخبز الذي كان محدد الوزن، ويمتحن الأسعار^(١).

(١) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٦م، ص

وكان الأندلسيون في تدينهم يقيمون الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم وينكرون التهاون فيها أو تعطيها، وإذا عطلها حاكم أو سلطان إفتحموا عليه قصره غير عابئين بالحراس من راجلين وفرسان حتى يخرجوه من بلدهم، بل إنهم جعلوا من أنفسهم رقباء على القضاة والولاة وكثيراً ما رجموا قاضياً تحيف في حكمه أو والياً لم يرع الأمانة في إدارة أمورهم^(١).

يمكن أن نقول إن الإلبيري أدرك من العهود السياسية ثلاثة، وفي كل عهد أمراء ورؤساء وظروف مختلفة:

- فقد أدرك دولة العامريين بالأندلس، مدة تسلط محمد بن أبي عامر المتلقب بالحاجب المنصور، ومدة ابنه بعده.

- وأدرك مدة الفتنه حين نهض بنو أمية لاسترداد ما سلبهم إياه ابن عامر وأولاده من السلطة والقيام بشؤون الناس. وهي فترة امتدت من سنة ٤٠٠ إلى ٤٢٢، وهي فترة مضطربة، ظهرت معها أوليات دول الطوائف التي اقتسمت الجسد الأندلسي الأموي الواحد. وكان ابن أبي عامر في مدته الطويلة قد أضعف العصبية الأموية خاصة والعصبية العربية عامة.

- وعاصر مدة دول الطوائف ومات في أثنائها نحو ٤٦٠هـ قبل انهيار الأندلس الكبير بسقوط طليطه سنة ٤٧٨هـ. وكانت مدة الفتنه هذه نكده صعبة عسيره لاقى منها الناس شراً مستظيراً. خربت معها الزهراء والزاهرة وتشوهت معالم قرطبة، وتغيرت الموازين السياسية وتبدلت قيم إجتماعية كثيرة، وانهمك الناس في أمور كانوا لا يوغلون فيها، وشغلهم الدنيا: بين توفير أدنى المطالب في هذه الظروف، والإنغماس فيها عند القادرين وعند أثرياء المرحلة^(٢).

(١) د. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، ص ٧٤.

(٢) الإلبيري، ديوانه، ص ١٣.

وكانت هذه المدة من أشد عصور الأندلس غرابية، فقد:

- ضعفت فيها الأمة عن مواجهة عدوها وصارت تنهوى عند رغباته وتتحني لمطالبه.

- وانتثر عقد الدولة الواحدة، دولة الأمويين، وصارت البلاد دويلات هزيلة تختلف على العظام والصغائر، وتتمسح بأعتاب العدو ليزهق بعضهم بعضاً، وليكون هذا في مصلحة ذلك العدو.

- وأرهق ملوك الطوائف الناس لتتحقق لهم رغباتهم وأهواؤهم من جهة، وليقدموا ثمن سكوت ملك قشتاله وغيره. وانغمس أولئك الحكام - إلا القلة القليلة - في حياة بذخ وترف لا تطبقها الرعية ولا تسمح بها ظروف البلاد والعباد. وأضاع معظم السياسيين والعسكريين رسم الجهاد، وذهبت أيام العز، وصارت كلمة الأندلسيين هي السفلى، وبدأ التراجع العربي الإسلامي عن أرض الأندلس ويكفي أن نذكر سقوط طليطه سنة ٤٧٨. وأسهم الحكام الجدد - وأكثرهم لا يصلح لسياسة ولا لرياسة - في إفساد الذوق العام، وغلبة الأهواء الشخصية، والركون إلى النفاق السياسي^(١).

وقد بين ابن حزم معاصر أبي إسحاق الألبيري مفاصد هذه المدة، ومفاصد حكامها وأخطاءهم السياسية والإقتصادية والاجتماعية^(٢). وفي زمن دولة باديس^(*) تولى أبو إسحاق الألبيري الكتابة للقاضي أبي الحسن ابن

(١) الألبيري، ديوانه، ص ١٣.

(٢) جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م، ص ٣٢.

(*) باديس بن حبوس بن ماكسن الصنهاجي أبو مناد الملقب بالمظفر: صاحب غرناطة وأعمالها من ملوك الطوائف بالأندلس. بويغ بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٨هـ. وطمع في زهير العامري صاحب المريه فهاجم غرناطة ووصل بابها سنة ٤٢٩هـ. (الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٤٢).

توبه(*) مدة غير قليلة (لا نعرف كم هي تحديداً). وباديس هو المعني بقصيدته الشهيرة:

أَلَا قُلِّ لِيْ لِيْنِهَاجَةً أَجْمَعِيْنَ *** بُدُوْرِ النَّدِيِّ وَأُسْدِ الْعَرِيْنَ^(١)
التي أسهمت إسهاماً قوياً في الثورة على الوزير المتسلط المتآمر على
الأمير نفسه، وعلى أسرته، وعلى أهل غرناطة يوسف بن إسماعيل بن
النغريه(*) .

وذكر الأمير عبد الله الأسباب التي دعت جده باديس إلى الإستناحه إلى
ابن النغريه وقال أنها تتلخص في أمور^(٢):

- فقد كان كيساً يحسن فن المداراة للناس مما يناسب ذلك الزمان.
- وهو يهودي لا تطمح نفسه إلى الولاية والإنقضاض على صاحب الدولة.
- وهو ليس من الأندلسيين فيخشى باديس منه أن يتفق مع سلطان من ملوك الطوائف.

(*) هو يوسف بن إسماعيل ويعرف بابن النغريه، كان أبوه وزيراً لأبي باديس، فأكثر يوسف من استخراج الأموال واستعمال إخوانه اليهود على الأعمال وعارضه ابن لباديس اسمه بلقين، ففس له السم فقتله وغرته مكانته عند باديس فطلب أن يقيم لليهود فعلمت صنهاجه بسوء ما يسعى إليه فدخلوا داره وقتلوه وصلبوه على باب المدينة. (الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٤٤).

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ١٠٧.

(*) هو محمد بن علي بن توبه سمع أبا عبد الله الحسين الحلبي، وأبا نصر الكلاباذي وعلي ابن أحمد الخزاعي بيخاري وسمع أبا نصر الحيات بدمشق. روى عنه أبو القاسم بن أبي العلا ومحي السنة الحسين بن مسعود البغوي.

(تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، ص ٥٠٩).
(٢) الإلبيري، ديوانه، ص ١٥.

المطلب الثاني: الحياة الأدبية:

كانت الحياة العقلية عند الأندلسيين حياة تستمد أفكارها، وتعتمد في موازينها على الكتاب والسنة، يجعلونهما الفيصل فيما يختلفون فيه! والمنار الهادي فيما يشتبه عليهم من الأمور، أو يخفى عليهم من المسائل، فلا يخرجون عليها، وحولها كانت دراستهم^(١).

لقد كان شعب الأندلس شعباً يقبل على العلم للعلم ذاته ومن ثم كان علماءهم متقنين لفنون علمهم لأنهم يسعون إليها مختارين غير مدفوعين بهدف غير التعلم. وكان الرجل ينفق كل ما عنده من مال حتى يتعلم. ومتى عرف بالعلم أصبح في مكان التكريم والإجلال ويشير الناس إليه بالبنان^(٢). وكانت كلمة عالم تنصرف عادةً إلى الفقهاء، ولم يكن الفقيه عالم دين وحسب، وإنما كان عادةً واسع الثقافة متشعب ألوان المعرفة، آخذاً من كل منها بطرف، له مشاركة في الأدب من شعر ونثر ولكن الصفة العلمية الأولى التي يتحلى بها كانت الصفة الفقهية^(٣).

تهيأت لأهل الأندلس أسباب الشعر وتوافرت لديهم دواعيه، فطبعوا على الشغف به، وانبسبت ألسنتهم بقوله، حتى قل أن تجد منهم من ألم بطرف من الآداب ولم يقل شعراً.

وقد كان لطبيعة الأندلس الزاخرة بالمفاتيح أثر كبير في طبعهم على هذه الشيمة، حتى لم تخل مدينة من مدنها من شاعر حاذق، أو كاتب بليغ^(٤). لم تخل حياة الشعراء من مضايقات، وأعنفها ما كان يلقاه بعضهم

(١) إبراهيم علي أبو الخشب، تاريخ الأدب العربي في الأندلس، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٠م، ص

(٢) مصطفى الشعبة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار الملايين، بيروت - لبنان، ص ٧١.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٧٥.

(٤) د. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ص ٦٣.

من ليف من الفقهاء كانت تدفعهم غيرتهم الدينية إلى أن يوقعوا ببعض من عرفوا بزيف أو مجون أو خلاعة.

كانت العربية لغة الأندلس الرسمية بها تجرى المكاتبات والمراسلات، رغم جنوح لغة التخاطب إلى العامية.

ولما كان الشاعر يتولى في كثير من الأوقات وظيفة كتابيه بوصفه وزيراً، كان عليه أيضاً أن يكون واقفاً على أصول الإنشاء مجوداً للكتابة.

كذلك أدى العطف الذي أبداه الخلفاء والأمراء نحو الأدب والمتأديين إلى كثرة الكتاب والشعراء وإلى ازدهار الأدب ولاسيما في زمن ملوك الطوائف، ولكن هذا العطف لم يكن السبب الوحيد في هذا الإزدهار بل إن أسلوب تعلم اللغة العربية والتثقيف بالثقافة الأدبية العامة كان لهما أثر أيضاً أثر كبير^(١).

لقيت الثقافة في الأندلس في عهد الطوائف الكثير من الحرية والتشجيع ولكنها لم تحظى كثيراً من الإتساع.

إن الثقافة تحتاج إلى زمن تنضج فيه شيئاً فشيئاً بخلاف الحضارة التي يمكن أن تستبحر في الزمن القصير بعامل النقل والتقليد^(٢).

لقد كانت معاملة ملوك الطوائف لأهل الأدب معاملة طيبة تتسم بالعطف والتقدير، فقلما أظافر الشر في نفوسهم وكان الشعراء ينالون ما يريدون عن طريق المدح والتملق فسكنت مرتهم.

وكان كرم ملوك الطوائف يسع الجميع فقلّ التهاجي بين أهل الأدب^(٣). والحق أن الأندلسيين كان لهم ولع شديد بمنافسة المشرقيين

(١) جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص ٦٤.

(٢) د. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ط دار العلم للملايين، ج ٤، ص ٣٩٢.

(٣) مصطفى عوض الكريم، الأدب الأندلسي في عصر المرابطين، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٠م، ص

وتقليدهم في العلم والأدب، وقد أثرت هذه المنافسة في ازدهار العلوم والأدب بالأندلس، وفي إصطباغ كثير من الفنون الأدبية في الأندلس بالصبغة المشرقية، وفي اتجاه الشعر إلى الطريق التي اتجه إليها الشعر في المشرق من حيث الصناعة الشكلية، وإلى حد كبير في المعاني والأفكار^(١).
تمتعت المرأة في الأندلس بقسط من الحرية والنفوذ. ولكن لم تلبث حرية المرأة وسيطرتها أن برزت بصورة أقوى وأشد مع نهاية القرن الرابع الهجري. وبداية تغلغل النفوذ البربري في المجتمعات الأندلسية.
وكان لهذه المكانة التي احتلتها المرأة في المجتمع الأندلسي أثر في الأدب شعره ونثره. فأباحت المرأة الشاعرة لنفسها أن تتغزل في الرجل كما يتغزل الرجل بالمرأة سواء بسواء.

وقد أشار بن رشيق^(*) إلى إن نقاد المشاركة عابوا على عمر بن أبي ربيعة أن جعل النساء في بعض شعره يتحدثن عنه^(٢). لقد واكبت نهضة الشعر في هذا القرن أي الخامس نهضة أخرى من الشاعرات تمثلت في وفرة عددهن واختلاف بلادهن ونفاضة إنشائهن وتجديد فنونهن، فكان في مدينة المريه^(*) من الشاعرات المجيدات، الشاعرة الغسانيه البجانيه وزينب المريه وغاية المنى وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح.

(١) محمد عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في الأندلس منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ص ٢٤٨.
(*) هو الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني (أبو علي) شاعر، أديب، نحوي، لغوي، مؤرخ، عروضي، ناقد، ولد بالمهدية ورحل للقيروان ودخل صقلية وسكن مازر، وتوفى بالقيروان ومن تصانيفه الكثيرة "العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه". (رضا كحالة، معجم المؤلفين، ص ٥٥١).

(٢) ابن رشيق، العمدة، ج ٢، ص ١٤٨.

(*) المريه بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء: هي مدينة كبيرة من كورة البيره من أعمال الأندلس، وكانت هي وبجانيه بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب. يضرب ماء البحر سورها ويعمل بها الوشي والديباج فيجاء عمله، وكانت أولاً تعمل بقرطبه ثم غلبت عليها المريه فلم يتوقف في الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المريه.

(شهاب الدين أبي عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ج ٥، ص ١١٩).

كذلك في أشبيلية يقع نظرنا على الشاعرة مريم بنت يعقوب الأنصاري وعلى الأميرة الجميلة. بثينه بنت كبير ملوك الطوائف وكبير ملوك الشعراء في الأندلس المعتمد بن عباد^(*).

أما إذا عدنا إلى قرطبة وجدنا فيها كبيرة شاعرات الأندلس الأميرة ولادة بنت المستكفي. وهناك في واد غير بعيد عن غرناطة حيث الخضرة والأشجار وتتخللها السواقي والجداول والأنهار وما يستتبع ذلك من طيور مغردة وظلال وأفياء ونسائم وأنداء.

مما يبعث الشعر رقيقاً أخذاً ويدفع به إلى رحاب الأسماع دفعاً عاشت حمدونه بنت زياد في بيت فيه علم وآداب فقد كان أبوها زياد الوادي آشي يعرف بزياد المؤدب وقد أنشأ ابنتيه حمدونه وأختها زينب على الأدب والعلم فكانتا شاعرتين من شهيرات شاعرات الأندلس.

فلنقف قليلاً مع حمدونه تصف لنا وادها بأجمل ما يوصف به واد، فرسمت له صوراً وفتقت حوله معاني من أبرع ما رسم من صور وأرق ما فتق من معاني قائلة:

وقانا لفحة الرمضاء واد *** سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا *** حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً *** أذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أني واجهتها *** فيحجبها ويأذن للنسيم^(١)

(*) محمد بن عبد الله بن عباد (٤٣١ - ٤٨٨ هـ) (١٠٤٠ - ١٠٩٥ م).

صاحب أشبيلية وقرطبة وما حولها، وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور. ولد في باجه بالأندلس وولي أشبيلية بعد وفاة أبيه سنة ٤٦١ هـ وكان فصيحاً شاعراً وكاتباً مترسلاً بديع التوقيع له ديوان شعر. (الزركلي، الأعلام، ص ١٨١).

(١) د. مصطفى الشعبة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص ١٥٢.

وكانت حمدونه هذه تلقب بخنساء المغرب، وشاعرة الأندلس.

قال المقرئ: خرجت حمدونه مرة للوادي مع صبية فلما نضت عنها

ثيابها وعامت، قالت:

أَبَاحَ الدَّمْعِ أُسْرَارِي بُوَادِي *** لَهُ لِلْحَسَنِ آثَارٌ بُوَادِي
فَمَنْ نَهْرٍ يَطُوفُ بِكُلِّ رَوْضٍ *** وَمِنْ رَوْضٍ يَرْفُ بِكُلِّ وَادِي
وَمِنْ بَيْنِ الطُّبَّاءِ مَهَاةُ إِنْسٍ *** لَهَا لَبِّي وَقَدْ مَلَكَتْ فُوَادِي
لَهَا لِحْظٌ تَرْقُّدُهُ لِأَمْرٍ *** وَذَاكَ الْأَمْرُ يَمْنَعُنِي رِقَادِي
إِذَا سَدَلْتَ ذَوَائِبَهَا عَلَيْهَا *** رَأَيْتَ الْبَدْرَ فِي أَفْقِ السَّوَادِ
كَأَنَّ الصَّبْحَ مَاتَ لَهُ شَقِيقٌ *** فَمَنْ حَزَنَ تَسْرِبَلًا بِالْحَدَادِ

أيضاً من الأدبيات الأندلسيات حفصه الركونيه، قال بن سعيد: كتبت

حفصه إلى بعض أصحابها:

أَزُورُكَ أَمْ تَزُورُ فَإِنَّ قَلْبِي *** إِلَيَّ مَا تَشْتَهِي أَبَدًا يَمِيلُ
فَتَغْرِي مَوْرِدَ عَذْبِ زَلَالٍ *** وَفَرَعُ ذُؤَابَتِي ظِلُّ ظَلِيلُ
وَقَدْ أَمَلْتُ أَنْ تَظْمَى وَتُضْحِي *** إِذَا وَافَى إِلَيْكَ بِي الْمَقِيلُ
فَعَجَّلَ بِالْجَوَابِ فَمَا جَمِيلٌ *** إِبَاؤُكَ عَن بَثِينَةٍ يَا جَمِيلُ^(١)

إن شاعر الطبيعة حين يعمد إلى وصفها يمسك بريشة فنان استحضر معه كل ما يحتاج إليه من ألوان بهيجه بحيث يستطيع أن يجعل من أبياته لوحة نضرة تجذب الأنظار وتخطف الأبصار. ففي الطبيعة اخضرار واحمرار واصفرار وفيها أوراق خضر نضيرة وأغصان غضة مياسة، وفيها نور

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، بيروت، ص ٧١٩.

وأزاهير وشذا وعبير، وفيها حفيف الغصون وتغريد الطيور، وفيها مياه صافية فضيه بالضحى عسجدية عند الأصيل.

لقد تمثل شاعر الطبيعة الأندلسي كل هذه المعاني وكانت أدواته في رسمها التشبيه العذب والإستعارة الجميلة. إن الشاعر الوزير عبد الله بن سماك يجري محاولته في هذا النطاق فيقول^(١):

الروض مخضر الربى متجمل *** للناظرين بأجمل الألوان
كأنما بسطت هناك شوارها *** خود زهت بقلائد العيقان
كذلك أبو الحسن بن زنباع^(*) يصف قصة الطبيعة في الرياض وفعل
السحاب بها حتى تسربت بجلتها الجميلة وتفتحت أزهارها ونضجت ثمارها
فيقول وقد أفرط في التصنع ولم ينس أن يتلاعب بالمحسنات البديعية بين الفينة
والفينة:

أبدت لنا الأيام زهرة طيبتها *** وتسربت بنضيرها وقشيبها
واهتز عطف الأرض بعد خشوعها *** وبدت بها النعماء بعد شحوبها
وتطلعت في عنفوان شبابها *** من بعدما بلغت عتبي مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم *** فبكت لها بعيونها وقلوبها^(٢)

(١) الفتح بن خاقان، قلائد العيقان في محاسن الأعيان، قدم له ووضع فهرسه، محمد العنابي المكتبة العتيقة تونس، ص ٢٠٤.

(*) أبو الحسن بن زنباع، فقيه، قاضي، أديب شاعر، متطبب، أندلسي، وكان إلى ذلك عرافاً بالشعر القديم، متمعماً في اللغة ذلق اللسان، لذيذ الحديث، دائرة المعارف، قاموس عام لكل فن ومطلب، مج ٣، ص ١٤٢.

(محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، الرياض، ٢٠٠٤م، الجزء الثاني، صفحة ٧٧٥).

(٢) الفتح بن خاقان، قلائد العيقان في محاسن الأعيان، ص ٢٢٥.

والحق أن الشعر الأندلسي كما يقول الرافعي^(*): "يمتاز بتجسيم الخيال النحيف، وإحاطته بالمعاني المبتكرة التي توحى بها الحضارة، والتصرف في أدق فنون القول، واختيار الألفاظ التي تكون مادةً لتصوير الطبيعة، وإيداعها في جمل وعبارات تخرج بطبيعتها كأنها التوقيع الموسيقي، ولا يشاركونهم في ذلك إلا من ينزع منزعهم ويتكلف أسلوبهم"^(١).

(*) مصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٧م) الأديب الإسلامي الكبير من مصر ذكر تلميذه محمد سعيد العريان في كتاب أصدره بعد وفاته بعام أنه ترك على مكتبه كتباً لم تطبع وقصاصات لم ترتب وثمره عقل خلاق كان يجتهد ليضيف كل يوم إلى العربية ثروة جديدة ومن كتبه التي لم تطبع الجزء الثالث من تاريخ آداب العرب. (محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين، الرياض، ٢٠٠٤م، الجزء الثاني، صفحة ٧٧٥).

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، ص ٣٣٨.

المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية

هي دراسة الجانب الاجتماعي في حياة الناس من الأمور ذات العلاقة الوثيقة بالظروف البيئية.

كان المجتمع الأندلسي مجتمعاً زراعياً قبل كل شيء يعتمد في حياته على الزراعة والأرض، ومن ثم تأتي التجارة والصناعة لتكملا ما تعجز الزراعة عن سده من حاجات السكان، وسبل إنتاج وسائل العيش هذه بدرجاتها المختلفة من التطور لعبت الدور الأساسي في بناء المجتمع الأندلسي^(١).

وإذا نظرنا إلى المجتمع الأندلسي من ناحية جمهرته وليس من ناحية قطاعات معينة منه وجدنا له ميزات باهرة وصفات طيبة تميزه عن كثير من المجتمعات الإسلامية الأخرى ما بين علم ودين وثقافة ونظافة وأناقاة وترتيب في أحوال المعيشة وحب للعدل وإنكار للفوضى وإجلال للعلماء إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي إن توفرت في شعب من الشعوب وضعت في مرتبة سامية ودفعت به إلى مدارج التقدم والازدهار^(٢).

وتميزت الحياة الاجتماعية في هذا المجتمع منذ البدء بالفهم الصحيح للمسؤولية الاقتصادية وتقدير الكسب والتدبير في موازنة الدخل والخرج^(٣). على نحو قد يعده المشاركة بخلاً، ولكن هذا الوعي الجيد قد حمى البيئة

(١) د. صلاح خالص، أشبيلية في القرن الخامس الهجري، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ص ٢٤.

(٢) مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ص ٧١.

(٣) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٥٦م، ط ٢ -

١٩٧٣م، ط ٣ - ١٩٧٥م، ط ٤ - ١٩٧٨م، ص ٢٤.

الأندلسية من الكديه^(*)، لسقوط الاتكال في نظرهم، كما أبعد عنهم الإغراق في التصوف الاتكالي أو استحداث الدوريات والتكايا^(١).

إن أهم ما جعل الوحدة البشرية في المجتمع الأندلسي ذات قوة تفوق ما كان من تعدد الأصول، كون العنصر البشري الذي يمثل أبرز عناصر المجتمع، هو العنصر العربي الممتزج على مر السنين بالعنصر الأسباني والمؤلف من هذا الامتزاج من هم أجدر سكان أسبانيا الإسلامية باسم الأندلسيين^(٢)، والشعب الأندلسي كسائر الشعوب له صفاته الخاصة التي تميزه وتكشف عن طباعه وأخلاقه ومألوف عاداته.

ومن عاداتهم التي اشتهروا بها:

• **حب النظافة:** وعن هذه الصفة ينبئنا المقرئ^(*) بقوله: "وأهل الأندلس أشد خلقاً اعتناءً بما يلبسون وما يفرشون".

(*) كل ما جمع من طعام أو تراب أو نحوه فجعل كئبه، وهي الكداهيه وحفر فأكدى إذا بلغ الصلب وصادف كديه. وسأله فأكدى أي وجده كالكديه. ويقال أكدى أي ألح في المسألة وأشد:

تضن فنغفيها، إن الدار ساعفت * فلا نحن نكديها ولا هي تبذل

ويقال لا يكديك سؤالي أي لا يلح عليك قالت الخنساء:

فتى الفتيان ما بلغو مداه * ولا يكدي إذا بلغت كداها

أي لا يقطع عطاءه ولا يمسك عنه إذا قطع غيره. (ابن منظور، ج ١٣، ص ٣٦).

(١) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص ٢٤.

(٢) د. أحمد هيكال، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار المعارف، ط العاشرة، ١٩٨٦م،

ص ٣١.

(*) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المالكي الأشعري نزيل فأس ثم القاهرة المشهور بالمقرئ ومن تصانيفه الكثيرة، "فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، "فتح المتعال في وصف النعال"، "أزهار الرياض في أخبار عياض". (رضا كحاله، معجم المؤلفين، ج ١، ص ٢٤٩).

- كراهيتهم للتسوّل: وعادة التسول مستقبحة عندهم إلى النهاية وإذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على العمل يستجدي الناس في الطرقات والأسواق سبوه وأهانوه.
- زيّهم: ومن حيث الزي، فالغالب على أهل الأندلس ترك العمائم ولاسيما في شرق الأندلس، أما أهل غربها فلا تكاد ترى فيهم فقيهاً ولا قاضياً مشاراً إليه إلا وهو بعمامة.
- والنّوبة لا يرخيها إلا العلماء، ولا يصرفونها بين الأكتاف وإنما يسدلونها من تحت الأذن اليسرى.
- شعار الحداد: وإذا كان اللون الأسود هو شعار الحداد عند المشاركة، فإن شعار الحداد عند الأندلسيين هو اللون الأبيض^(١).
- ولعل كثرة عدد الشاعرات في الأندلس بالقياس إلى عددهن في المشرق يعطي صورة توحى بأن نصيب المرأة الأندلسية من العلم والمعرفة والتحرك كان أكثر من نصيب أختها في المشرق، ولعل ندوة ولاده بنت المستكفي^(*) تعتبر مثلاً لهذا اللون من النشاط النسائي وتحرك المرأة في الأندلس^(٢).
- على أن إسراف بعض النساء الأندلسيات على أنفسهن وعلى مجتمعهن لا ينقص من قيمة المرأة الأندلسية - في نطاق المجتمع الواسع - التي عرفت بالثقافة وإحسان تدبير شئونها والبت في القضايا الخطيرة

(١) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص ١٤١.

(*) ولاده بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن الأموي، شاعرة أندلسية من بيت الخلافة، كانت تخالط الشعراء وتساجلهم، اشتهرت بأخبارها مع الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس وكانا يهويانها، وهي تود الأول وتكره الثاني حتى وقع بينهما ما وقع فكتب ابن زيدون رسالته التهكمية المعروفة. إلى ابن عبدوس وشعره فيه رقة وعدوية. (الزركلي، الأعلام، ج٨، ص ١١٨).

(٢) مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دار الملايين، ص ٤٦.

والمشكلات المستعصية وحل مشاكل المتقاضيين حين يستعصي على القاضي حلها.

ويأتي المقري بمثال لواحدة من هؤلاء النسوة وقد كانت زوجة لقاضي مدينة لوشه^(*) الذي كثيراً ما كان يستعصي عليه الفصل في قضايا الناس فكان يدخل إلى زوجته يستجد برأيها أو بالأحرى بحكمها فتشير عليه بما يحكم^(١).

وكان يغلب على الحرائر من الأندلسيات الحجاب كأهل الشرق، بل ربما كان حجاب حرائر الأندلسيات أشد وأعنف، أما الإماء والسراري^(*) فكان يتسامح معهن في الحجاب، ولما سمرت ولاده بنت المستكفي الأموي، وشاركت في الشعر والأدب، قوبل سفورها في المجتمع الأندلسي بشيء من الإستغراب!^(٢).

ومن المظاهر الغربية أن بلاد الأندلس المليئة بوسائل المتعه، المترعه بأسباب اللذة يكون شعر الزهد فيها أضعاف مثيله في المشرق، ولكن بقليل من التدبر في هذه القضية سوف لا يبدو الأمر غريباً، لأن هناك ما يسمى برد الفعل، وقد كان الزهد في الأندلس ثم التصوف بعد ذلك ردة فعل شديدة ضد عدد وفير من أبنائها ذوي أصوات عالية مسموعة في الانخراق في المادية والابتعاد عن الروحية، فكان شيئاً طبيعياً وليس غريباً

(*) مدينة بالأندلس غربي البيره قبل قرطبه منحرفه يساراً، وهي مدينة طيبة على نهر سنجل وبينها وبين قرطبه عشرون فرسخاً. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٦).

(١) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، الجزء السادس، ص ٣٠.

(*) جمع سريه، وهي الجارية يتسراها مالكةا، فإن ولدت منه سميت "أم ولد" وعندئذ لا يحل لسيدها بيعها ولا هبتها، وتبقى حلاً له طول حياته، فإذا مات صارت حرة تجري عليها كل أحكام الحرائر، أما أولادها أحرار منذ ولادتهم.

(٢) د. عبد العزيز عتيق، الأدب الأندلسي، ص ١٤٤.

أن يعلو قول ينادي بالزهد ويجار بالشكوى من نداء الدنيا، فيهون من شأنها ويحقر من خطرها^(١).

ويبدو أن عدد الزهاد في الأندلس كان من الكثرة بمكان حتى إن ابن بشكوال^(*) قد صنف كتاباً بعنوان "زهاد الأندلس وأئمتها".

ومن العسير أن يحكم المرء بأن الأندلسيين أستعاروا هذا الموضوع من أبي العتاهيه^(*) أو اقتبسوا تماماً منه الشعري، لأن الزهد نزعه لها أصولها الاجتماعية وليست تجيء كلها إقتباساً^(٢).

وكان من أهم ظواهر المجتمع كذلك في تلك الفترة ظهور طبقة اجتماعية جديدة أصبح لها كيانه ومكانتها بين طبقات المجتمع الأندلسي، تلك الطبقة هي طبقة المولدين، التي تتألف من أبناء الأسبان الذين اعتنقوا الإسلام. ولا شك أن وجود مثل هذه الطبقة قد زاد من الأثرية المسلمة حينئذ، وصبغ الحياة الأسبانية بصبغة أكثر إسلامية وعروبية^(٣).

ومن صفات المولدين من النساء الأسبانيات الشجاعة والذكاء والجمال، وكان لهم في الأندلس تاريخ طويل، وقد حُبب العرب في هذا الزواج ما عرف عن الأسبانيات والبربريات من جمال وبياض بشرة واصفرار شعر وزرقة عيون، وهي صفات يحبها العربي لأنها جديدة

(١) د. مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص ٧٥.

(*) هو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي، مؤرخ، بحاثه من أهل قرطبه ولادة و وفاة (٤٩٤ - ٥٧٨هـ) (١١٠١ - ١١٨٣م). ولي القضاء في بعض جهات أشبيلية له نحو خمسين مؤلفاً أشهرها الصلة. (الزركلي، الأعلام، الجزء الأول، ص ٣٢).

(*) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني (من قبيلة عنزه) بالولاء أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهيه: شاعر مكثر، سريع الخاطر، في شعره إبداع وهو يعد من مقدمي المولدين من طبقة بشار وأبو نواس وغيرهما. (الزركلي، الأعلام، الجزء الأول، ص ٣٢١).

(٢) د. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبه، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ص ١١٧.

(٣) د. أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، الناشر: دار المعارف، القاهرة، ط العاشرة، ١٩٨٦م، ص ٧٦.

عليه^(١). وينبغي أن نذكر في هذه السانحة أن ميل الإنسان العربي إلى الزواج بالأسبانيات ساعد على تقويض الأندلس وضعف الروح الحربية لدى الإنسان العربي وميله إلى الترف والحياة الرغده ونسيانه حياة الفروسية والجهاد والاستشهاد^(٢).

ومما هو جدير بالذكر أن بعض العادات الاجتماعية للمسلمين قد أخذها النصارى، ومن مظاهر تأثيرهم في المجتمع أن نبلاء قشتاله^(*) وأعيانها كانوا يتزينون بأزيائهم، ويمارسون رياضتهم كالمبارزة بالسيف واللعب بالعصا.

وقد ظلت الحياة الاجتماعية في أسبانيا متأثرة متأثراً جوهرياً بالحياة الاجتماعية الإسلامية، واستمرت الريفيات محجبات طوال عدة قرون وخاصة الأندلسيات منهن، فكانت تسليتهن الكبرى أن يطلن من نوافذ بيوتهن عبر ستار أو ضلفة، كي يشاهدن في الخارج حياة تختلف كل الاختلاف عن حياتهن المنزلية^(٣). وليس غريب أن يتأثر الأسبان بعادات وتقاليد المسلمين لأن المسلمين آنذاك اشتهروا بحبهم للعلم وتشجيعهم للآداب والثقافة العامة، كذلك تنافسوا في إحياء العلوم تنافساً عظيماً، مما أدى إلى تقدماً كبيراً وأينعت الفنون، وازدهرت المدن بآيات الفن^(٤).

(١) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٦م، بيروت، ص ١٣٥.

(٢) د. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ص ٥٤.

(*) إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطه وجميعه اليوم بيد الإفرنج. (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٥٣).

(٣) د. هشام أبو رميله، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان الطابعون، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان - الأردن، ط، ١٩٨٤م، ص ٣٦٢.

(٤) حسن خليفه، تاريخ العرب في أفريقيا والأندلس، مطبعة الإعتقاد بشارع حسن الأكبر، ط، ١٩٨٣م، ص ٢٣١.

الفصل الثاني أغراض الشعر عند الإبيري

المبحث الأول الزهد

المبحث الثاني الوعظ

المبحث الثالث الرثاء

المبحث الرابع أغراض مختلفة

المبحث الأول الزهد

إن الزهد في الدنيا معنى جليل، لا يستقيم إلا لكل نفس كبيرة، فهو خير معين للتفرغ للعظائم، وأقوى محقق لمعاني القوة في النفس والعقل والبدن، وأكبر عامل على صفاء القلب، وصونه مما يتورط فيه الجاهلون من الحسد والغل، وأدعى شيء للعفاف، والترفع عن السفاسف والذنيه، وإلى عزة النفس، والصدع بالحق ومقاومة الشر^(١).

• معنى الزهد:

تدل مادة الزهد في اللغة العربية على عدم الرغبة في الشيء والعزوف عنه وكذلك على القلة في إمتلاك الأشياء. جاء في لسان العرب "الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا". والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة، ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة^(٢).

وفي تاج اللغة الزهد خلاف الرغبة. تقول زهد في الشيء وعن الشيء يزهد زهداً وزهادةً. والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه، يقال رجل زهيد الأكل وواد زهيد قليل الأخذ للماء، ويقال خذ زهد ما يكفيك أي قدر ما يكفيك^(٣) أما القاموس ففيه: "زهد أو زهاده: أو هي في الدنيا. والزهد في الدين ضد رغب، والزهد القليل، والتزهيد ضد الترغيب^(٤) ولم

(١) الإمام الزاهد هناد بن السري، الزهد، تحقيق: محمد أبو الليث، ج ١، ص ٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، مادة زهد، دار صادر بيروت، ص ٦٨.

(٣) الجوهرى، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط الثانية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٤٨١.

(٤) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧١هـ — - ١٩٥٢م، مادة زهد، ج ١، ص ٢٠٩.

يرد لفظ الزهد في القرآن الكريم سوى مرة واحدة^(١) في قوله تعالى: ﴿وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾^(٢).

يقول الشوكاني^(*) في تفسير هذه الآية: "يقال زهدت بفتح الهاء وكسرها". قال سيبويه^(*) والكسائي^(*): قال أهل اللغة: يقال زهد فيه أي رغب عنه... والمعنى أنهم كانوا فيه من الزاهدين عنه الذين لا يباليون فلذلك باعوه بالثمن البخس^(٣).

ولقد أوضح الرسول ﷺ المقصود الحقيقي من الزهد حين قال: "الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة أن تكون بما في يد الله تعالى أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك"^(٤).

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط٢، دار النشر الهيئة المصرية العامة، مجلد ٢، ص ١٨.

(٢) سورة يوسف الآية (٢٠).

(*) أبو عبد الله محمد بن علي الشهير بالشوكاني، ولد سنة ١١٧٣م وتوفي عام ١٢٥٠م ومن تأليفه الأبحاث البديعة في وجوب الإجابة إلى أحكام الشريعة وغيرها.

(إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، منشورات مكتبة المتنى، بغداد، ط ١٩٩٥م، ص ٣٦٥).

(*) عمر بن عثمان وسيبويه لقب معناه رائحة النفاح ذكر صاعد بن أحمد في كتابه قال: لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فأشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطو طاليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه. (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٥، ص ٢١٢٤).

(*) هو أبو الحسن علي بن حمزة أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة، مات سنة اثنين أو ثلاث وثمانين فقال الرشيد اليوم دفنت الفقه واللغة العربية. (ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج ٤، ص ١٧٣٩).

(٢) فتح القدير، ط ٢، القاهرة، مصطفى محمد البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٤م، ج ٣، ص ١٣.

(٤) الإمام الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: د. مصطفى محمد حسين الذهبي، ط ١٩٩٩م، دار الحديث القاهرة، كتاب الزهد، ج ٤، ص ٣٠٠.

وقد أورد الإمام القشيري(*) أقولاً كثيرة في معنى الزهد على نحو أربعين قولاً لبعض الزهاد والصوفية، ومن أولئك الزاهد المجاهد عبد الله ابن المبارك(*) والزهد عند ابن المبارك "هو الثقة بالله تعالى وحب الفقر"(١).

وقد بين الإمام الزهري(*) إن من معاني الزهد الحقيقي أن تشكر الله تعالى على ما رزقك من الحلال، وأن تحبس نفسك عن طلب الحرام قانعاً بما قسم لك فقال: حين سأل عن زهد المسلم: "هو أن لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره"(٢).

أما الإمام الغزالي(*) فقد حدد معالم الزهد وبين حقيقته. يقول شارحاً معنى الزهد: "هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة وبيع فإنما عدل عنه لرغبته عنه،

(*) عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري، ولد سنة ستة وسبعين وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وستين وأربعمائة، كان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٨٣).

(*) أبو عبد الرحمن المروزي، كان من الربانيين في العلم الموصوفين بالحفظ وقد جمع الحديث والفقه والعربية، وأيام الناس، والشجاعة. (الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ١٥٥).

(١) الرسالة القشيرية، تحقيق: الدكتور عبد الرحيم محمود، دار الكتب الحديثة، ص ٢٩٢.

(*) أبو بكر محمد بن مسلم أحد الفقهاء والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة كان مولده سنة ٥١هـ ووفاته سنة ١٢٤هـ ودفن في ضيعة أدامي.

(ابن العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: د. يوسف علي طويل و د. مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية بيروت، ج ٤، ص ٣٢).

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمد محمود الطناجي وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ٣٢١.

(*) محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الطوسي الشافعي، ولد سنة ٤٥٠هـ وتوفي ٥٠٥هـ ومن مصنفاته وهي كثيرة إحياء علوم الدين. (إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، ص ٨٠).

وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره فحالته بالإضافة إلى المعدول يسمى زاهداً، وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبةً حياً^(١).

والمتأمل في هذه التعريفات التي أوردنا نجد أنها تدور حول الإعراض عن الدنيا والتهوين من شأنها وعدم الإنشغال عن الله تعالى، والرضاء التام بما قسمه الله عز وجل، وشكره في كل حال، وأن يكون ذلك نابعاً من إيمان متين واعتقاد قوي، فالزهد في الأساس تفرغ القلب من حب الدنيا وشهواتها وامتلاؤه بحب الله والتوجه إليه^(٢).

والزهد ليس كما زعم بعض الجاهلين قبوعاً في كسر بيت، وجموداً أمام كل نشاط أو تجديد أو إصلاح، وتماوتاً عن كل جليل من الأعمال. ولا كما يخيل للتافهين الجاهلين هو الذلة والمسكنة، والفقر والمتربه، والضعف والحاجة، والكسل اللاصق بالأرض القانع بالدون من الحياة^(٣).

فضائل الزهد:

وللزهد فضائل جمّة، فيكفي أنه زينة الأنبياء والمرسلين، والصادقين والشهداء والصالحين، وإنه سبب لكل خير، وصل إليه العلماء العاملون، والفقهاء المخلصون، وإنه منبع للاقتصاد المبني على تعاليم الإسلام وأحكامه، وإذا نظرنا للقرآن الكريم نجده قد امتلأ بزاد كبير في الدلالة على حب الآخرة والسعي لها، كذلك سنة نبينا محمد ﷺ زاخره بزاد عظيم في هذا المجال، هذا عدا أقوال السلف الصالح^(٤).

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ط الأولى القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م، ج ٤، ص ٢١١.

(٢) عبد القادر عيسى، انظر حقائق عن التصوف، ط الثالثة عشر والأولى لدار المقطم، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ٥٠ شارع الشيخ ريحان عابدين، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ص ٢٢٩.

(٣) الإمام الزاهد هناد السري، الزهد، تحقيق: محمد أبو الليث، ج ١، ص ٣٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٥.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾. (سورة الإسراء: ١٩).

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾. (سورة العنكبوت: ٦٤).

﴿... قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلًا ﴾. (سورة النساء: ٧٧).

ومن الأحاديث الشريفة:

حديث سهل بن سعد الساعدي، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال: "ازهد في الدنيا يحبك الله أزهد فيما عند الناس يحبك الناس"^(١).
ومن الأثر:

قال الحسن البصري^(*): "أدركت سبعين من الأخيار ما لأحدهم إلا ثوبه، وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوباً قط، كان إذا أراد النوم باشر الأرض وجعل ثوبه فوقه"^(٢).
علامات الزهد:

(١) سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه، محمد فؤاد عبد الباقي، ج٤، ص ١٣٧٣.

(*) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد، هو ابن مولى من ميسان، ولد سنة ٢١هـ - ٦٤٢م، ومن آثاره تفسير القرآن وتوفى في البصرة ١١٠هـ - ٧٢٨م.

(فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج١، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي، وراجعته: د. عرفه مصطفى، ط ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٩).

(٢) عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ص ٩٣.

قد يسأل سائل: إذا كان هذا هو معنى الزهد وفضيلته والأدلة عليه، فكيف يشعر به الإنسان وما هي علامته؟

والجواب على ذلك إن للزهد علامات حصرها الإمام الغزالي في ثلاث: أولاً: أن لا يفرح الإنسان بوجوده، ولا يحزن على مفقوده، ويوضح هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (سورة الحديد: ٢٣).

ثانياً: أن يستوي عنده ذامه ومادحه، وهذه علامة الزهد في الجاه. ثالثاً: أن يكون أنسه بالله تعالى، والقالب على قلبه حلاوة الطاعة^(١). ودرجات الزهد: للزهد ثلاث درجات:

إحداها: الزهد للنجاة من العذاب والحساب والأهوال التي بين يدي الآدمي وهذا زهد الخائفين.

وثانيتهما: الزهد للرجبة في الثواب والنعيم الموعود به، وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء تركوا نعيماً لنعيم.

وثالثتها: وهي العليا، وهو أن لا يزهد في الدنيا للتخلص من الآلام وللرجبة في نيل اللذات، بل طلب لقاء الله تعالى، وهذا زهد المحسنين العارفين^(٢).

يطول الحديث لو شئنا إستقصاء عناصر الزهد في شعر أبي إسحاق الألبيري والتدليل عليها ولكننا نجل تلك العناصر في أشياء رئيسية لأن معظم ديوان الألبيري طابعه الزهد.

(١) الإمام هناد بن السري، الزهد، ص ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٣.

فمن ذلك التنفير من الإنغماس في الدنيا، والدنيا عنده عدو شرس يتخايل للإنسان في صورة مغريه مغويه، والذكي السعيد هو الذي لا يخضع لإغراء منها أو إغواء فالدنيا لا يؤسف على شيء منها^(١).

قال الإلبيري:

وَمَا آسَى عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ *** عَلَى مَا قَد رَكِبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ^(٢)
هناك حديث نبوي معناه أن هذه الدنيا لا تسوى شيئاً عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما أعطى كافر منها شيئاً"^(٣).

فهي في نظر الشاعر كما وصفها الحديث لا تسوى شيئاً ولكن ما يؤرق مضجعه ويطرد النوم من عينه هو ارتكابه للمعاصي والذنوب. والدنيا تتاديه فيعرض عنها:

نَادَتْ بِي الدُّنْيَا فَقُلْتُ لَهَا إِقْصِرِي *** مَا عُدَّ فِي الْأَكْيَاسِ مَن لَبَّائِي
مَازَلْتِ خَادِعَتِي بِبَرْقِ خُلْبٍ *** وَلَوْ إِهْتَدَيْتُ لَمَا إِنْخَدَعْتُ لِذَٰكِ^(٤)

فالشاعر هنا يرفض الدنيا بزینتها وبهجرتها ويرى إن من يستجيب لها لا يعد من العقلاء ولعله اقتبس هذا الكلام من حديث رسول الله ﷺ الذي يقول: عن شداد بن أوس قال: قال: "رسول الله ﷺ الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله"^(٥).

(١) د. محمد رضوان الداية، في الأدب الأندلسي، ص ٨٩.

(٢) الإلبيري، ديوانه، حققه: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ص ٣٧.

(٣) الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: محمد

عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى، ٢٠٠١م، ج ١، ص ٣٧٢.

(٤) الإلبيري ديوانه، ص ٤٠.

(٥) الإمام أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، الناشر: دار سحنون، الطبعة الثانية، الجزء ٤، ص

ويذهب الشاعر إلى أبعد من ذلك في ذم الدنيا فيراها أمّا غير حانية
تأكل أبناءها إذ يقول:

لَا كُنْتَ مِنْ أُمَّ لَنَا أَكَّالَةً *** بَعْدَ الْوِلَادَةِ مَا أَقَلَّ حَيَاكَ^(١)
ولعمري إنه وصف قبيح تشمئز منه النفوس وتتفر منه الطباع السوية.
ويمضي قائلاً:

وَجَلالِ رَبِّي لَوْ تَصِحُّ عَزَائِمِي *** لَزَهَدْتُ فِيكَ وَلَا بَتَغَيْتُ سِوَاكَ
وَأَخَذْتُ زَادِي مِنْكَ مَنْ عَمَلِ التُّقَى *** وَشَدَدْتُ إِيْمَانِي بِنَقْضِ عُرَاكَ
وَحَطَّطْتُ رَحْلِي تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى *** وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّهَ تَحْتَ لِيْوَاكَ^(٢)
والواو في صدر البيت للقسم والشاعر أقسم للدنيا أنه لو صحت
عزائمها واستطاع كبح جماح نفسه لزهد فيها وطلب غيرها لقناعته بعدم
فائدتها.

والدنيا كما وصفها القائد الفاتح والصحابي الجليل عمرو بن العاص^(*)
بأنها: "جيفة لا يتقاتل عليها إلا الكلاب من البشر"^(٣).

فبالرغم من أن الإلبيري لا يعير الدنيا أدنى اهتمام فهو لا يقيم فيها
ذليلاً ويدعو بني جنسه إلى عدم الإقامة على الذل والهوان إذ يقول:
وَلَا تَلَبَّثْ بِحَيٍّ فِيهِ ضَايِمٌ *** يُمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِّتَا
وَعَرَّبْ فَالْغَرِيبُ لَهُ نَفَاقٌ *** وَشَرَّقْ إِنْ بَرِيقَكَ قَدْ شَرِقْنَا

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٤١.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٣.

(*) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهاتهم وأولى

الرأي والحزم والمكيدة فيهم، أسلم في هدنة الحديبية، الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٧٩.

(فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ج ١، نقله إلى العربية د. محمود فهمي حجازي، وراجعته: د.

عرفه مصطفى، ط ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٩).

(٣) الرافعي، الجانب الإسلامي في أدب الرافعي، عبد الستار علي السطوح، دار الإعتصام، ص

وَلَوْ فَوْقَ الْأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا *** سُمُوًّا وَافْتِخَارًا كُنْتَ أَنْتَا^(١)
وهذا المعنى تطرق له الشاعر الفحل ذو الأصبغ^(*) العدوانى في بعض
قصائده، ولعل الإلبيري كان قارئاً جيداً للشعر الجاهلي وأيام العرب يقول ذو
الأصبغ:

عَفَّ يَوْوسُ إِذَا مَا خِفْتُ مِنْ بَلَدٍ *** هُونًا فَلَسْتُ بِوَقَافٍ عَلَى الْهَوْنِ
والله لو كرهت نفسي مصاحبتي *** لقلت إذ كرهت قربى لها بيني^(٢)
وفي شعر المتلمس^(*) هذا المعنى ويجري كلامه مجرى المثل إذ يقول:

لَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُسَامُ بِهِ *** إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْأَهْلِ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ *** وَذَا يُشَجُّ فَمَا يَرِثِي لَهُ أَحَدٌ^(٣)
كذلك من عناصر الزهد التي تحدث عنها الألبيري ونبه إليها التذكير

بالموت، وأنه لا بد منه، والتذكير بالآخرة الآتية لا محالة فالدنيا ممر وليست
مقراً ومن شعره في هذا الاتجاه.

تُغَازِلُنِي الْمَنِيَّةُ مِنْ قَرِيبٍ *** وَتَلَحَّظُنِي مُلَاحَظَةَ الرَّقِيبِ
وَتَنْشُرُ لِي كِتَابًا فِيهِ طَيِّبِي *** بِخَطِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُهُ مَشِيبي
كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غُمُوضٌ *** يَلُوحُ لِكُلِّ أَوَّابٍ مُنِيبٍ^(٤)

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٥.

(*) هو حرثان بن الحارث بن محرث من مضر، شاعر حكيم جاهلي لقب بذى الأصبغ لأن حيه
نهشت أصبع رجله فقطعها وشعره مليء بالحكمة والموعظة والفخر. (الزركلي، الأعلام،
الجزء ٢، ص ١٧٣).

(٢) الضبي، ديوان المفضليات، ط بيروت - كلية إكسفورد، ١٩٢٠م، ص ٣٢١.

(*) اسمه جرير بن عبد المسيح الضبي، وهو أحد الثلاثة المقلين الذين اتفق العلماء بالشعر أنه
أشعرهم وهم المتلمس، والمسيب بن علس، وحصين بن الحمام.

(الشيخ عبد الرحيم أحمد العباس، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محي الدين
عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، ج ١، ص ٣١٢).

(٣) ديوان المتلمس الضبي، عني بتحقيقه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، ط ٢، القاهرة، معهد
المخطوطات العربية، ١٣/٦/١٩٩٧م، ص ٢٠٠.

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٦.

فالإبيري لم يكن له قصب السبق في تناوله لهذا الموضوع فنجد الحديث عن الموت وانقضاء الحياة، والتذكير بالأمم السابقة في بعض أشعار طرفه ابن العبد(*) إذ يقول:

أرى قَبْرَ نَحَامٍ بَخِيلٍ بِمَالِهِ *** كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدِ
تَرَى جُثُوتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا *** صَفَائِحُ صُمٍّ مِنْ صَفِيحٍ مُنْضَدِ
أرى المَوْتَ يَعْتَامُ الكِرَامَ وَيَصْطَفِي *** عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ
أرى العَيْشَ كَنْزاً نَاقِصاً كُلَّ لَيْلَةٍ *** وَمَا تَنْقُصُ الْأَيَّامُ وَالْدَّهْرُ يَنْفَدِ
لَعَمْرُكَ إِنَّ المَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى *** لَكَالطَّوْلِ المُرْخَى وَتَيْبَاهُ بِالْيَدِ^(١)

والفكره عند كلا الشاعرين تدور حول الموت وإنه واقع لا محالة فيجب على الإنسان أن يستعد لما هو آت، ولا يترك نفسه التي بين جنبيه التي تتقاذفها الأهواء فتزرمي بها في مهاوي الردى والهلاك.

أيضاً تحدث الإبيري عن المال وسفهه وأعلى من شأن العلم ووصف الذين يفضلون المال على العلم بالجهل والشاعر محق في ذلك لأن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز فضل هذا عن ذاك إذ يقول:

يقول الله تعالى: ﴿... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. (سورة المجادلة: ١١).

ويقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۚ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾. (العنكبوت: ٤٣).

ويقول: ﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ...﴾. (سورة الزمر: ٩).

(*) طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد شاعر جاهلي من الطبقة الأولى ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد وكان هجاءً غير فاحش القول تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره. (الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ٢٢٥).

(١) أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ١٩٦٣م، ص ٢٠١.

وهناك حديث يقول فيه الرسول ﷺ: "الناس عالم ومتعلم، وما بين ذلك همج لا خير فيه" (١).

يقول الإلبيري:

أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا *** إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ إِنْ عَقَّاتَا
إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا *** مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
وَيَجْلُو مَا بَعَيْنِكَ مِنْ عَشَاهَا *** وَيَهْدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَالَّتَا
وَتَحْمَلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجًا *** وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا اغْتَرَبْتَا
يُنَالُكَ نَفْعُهُ مَا دُمْتَ حَيًّا *** وَيَبْقَى ذَخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا
إِذَا مَا لَمْ يُفِدْكَ الْعِلْمُ خَيْرًا *** فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْ قَد جَهَلْتَا (٢)

فالشاعر يدعو من كناه أبا بكر إلى العلم والسير في طريقه، ومن خلال قراءة الآيات السابقة والحديث الشريف يتضح لنا أن الدنيا تدور على فلكين عالم ومتعلم وما سواهما رجرة يزحمون الأسواق ويغلون الأسعار فهم غثاء لا يرجى منه.

وكما يقولون الشيء بالشيء يذكر نذكر هنا بعض قصيدة أبي مروان (*) عبد الملك بن إدريس لتوارد الخواطر بينه والألبيري في هذه الأبيات فكلاهما يعليان من شأن العلم:

وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الْعِلْمَ أَرْفَعُ رُتَبَةً *** وَأَجَلٌ مُكْتَسَبٌ وَأَسْنَى مَفْخَرٍ
وَبِضْمَرِ الْأَقْلَامِ يُبْلَغُ أَهْلُهَا *** مَا لَيْسَ يُبْلَغُ بِالْجِيَادِ الضَّمْرِ
وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ أَرْبَابَهُ *** مَا لَمْ يُفِدْ عَمَلًا وَحَسَنَ تَبَصُّرٍ (٣)

(١) أبو محمد عبد الله بن محمد عبد الرحمن الدرامي، سنن الدار في سلسلة مطبوعات السنة النبوية، ط ١٩٩٦م، ج ١، ص ٨٠.

(٢) الإلبيري، ديوانه، ص ٢٥.

(*) هو عبد الملك بن إدريس الجزيري وزير أندلسي من الكتاب وهو من أهل قرطبة له أشعار ورسائل كثيرة مدونة. (الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٥٦).

(٣) أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري، بيتمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ج ٢، ص ١١٧.

وهناك مفاضلة عجيبة وغاية في الروعة للإمام الشافعي (*) فهو يرى أن سهره من أجل العلوم ومدارستها أطيب له من معانقة تلك الغانية التي استغنت بجمالها عن الحلي إذ يقول:

سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ أَلْذُّ لِي *** مِنْ وَصَلِ غَانِيَةٍ وَطَيْبِ عِنَاقِ
وَصَرِيرُ أَقْلَامِي عَلَى صَفْحَاتِهَا *** أَحْلَى مِنَ الدَّوْكَاءِ (*) وَالْعُشَّاقِ
وَتَمَايِلِي طَرْبًا لِحَلِّ عَوِيصَةٍ *** فِي الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ (١)

من خلال ما ذكر يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك إن المفاضلة بين العلم والمال معدومة، والبون بينها شاسع.

ما زال الحديث للإبيري إذ يقول:

وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهَمْكَ فِي مَهَاوٍ *** فَلَيْتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهَمْتَا
سَتَجْنِي مِنْ ثَمَارِ الْعَجْزِ جَهْلًا *** وَتَصْغُرُ فِي الْعُيُونِ إِذَا كَبُرْتَا
وَتَفْقَدُ إِنْ جَهَلْتِ وَأَنْتِ بَاقٍ *** وَتَوْجَدُ إِنْ عَلِمْتِ وَقَدْ فُقِدْتَا
وَلَيْسَ لِجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنَى *** وَلَوْ مُلْكُ الْعِرَاقِ لَهُ تَأْتَى
جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا *** لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا
وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الْوَحْيِ بَوْنٌ *** سَتَعَلَّمُهُ إِذَا طَهَ قَرَأْتَا (٢)

فهنا يرسل الأبيري رسالة واضحة الدلالة مفادها أن العلوم التي يتعلمها الإنسان يجب أن تتعكس في سلوكه وأدبه، ويخبرنا كذلك أن الجاهل لا معنى له بين أفراد المجتمع والعلم هو المطلوب بدليل قوله تعالى: ﴿... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. (سورة طه: ١١٤). أيضاً يقول أن الجاهل يفقد وهو

(*) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع وهو أول من تكلم في أصول الفقه، كان مولده سنة خمسين ومائة وقيل أنه ولد في اليوم الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة، وفيات الأعيان، ابن الخلكان، ج ٤، ص ٢١.

(*) الدوكاء: دق الشيء وسحقه وطحنه كما يدوك البعير الشيء بكلكه.

(١) ديوانه، تحقيق: محمد عفيفي الزغبى، ١٩٧٠م، ص ٤٥.

(٢) الإبيري، ديوانه، ص ٢٧.

موجود لعدم تأثيره في المجتمع والمتعلم إن غاب فهو موجود لأن آثاره باقية،
وهنا يحضرنى بيت الحارث(*) ابن حلزة:

أَدْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ *** رَبِّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ^(١)

أدنتنا بمعنى أنها أخبرتنا بفراقها وهو يهمننا أكثر من إقامة الآخرين،
فرب ثاوٍ جاهل في المجتمع أفضل منه عالم رحل وفارق الحياة لأن ما ينتفع
به من علمه باقي. ومن المحدثين الذين فاضلوا بين العلم والمال الشاعر

محمود سامي(*) البارودي إذ يقول:

بِقُوَّةِ الْعِلْمِ تَقْوَى شَوْكَةَ الْأُمَمِ *** فَالْحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ

لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسَاعِي مَا يَبِينُ بِهِ *** سَبَقُ الرَّجَالِ تَسَاوَى النَّاسِ فِي الْقِيمِ

وَلَا تَظُنُّوا نَمَاءَ الْمَالِ وَأَنْتَسِبُوا *** فَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مَا يَحْوِيهِ ذُو نَسَمِ

فَرُبَّ ذِي ثَرْوَةٍ بِالْجَهْلِ مُحْتَقِرٍ *** وَرُبَّ ذِي خَلَّةٍ بِالْعِلْمِ مُحْتَرَمٍ^(٢)

(*) هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي: شاعر جاهلي من أهل بادية العراق
وهو أحد أصحاب المعلقات وفي الأمثال، فخر بن الحارث بن حلزة. (الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص
١٥٤).

(١) ديوانه، شرح: مجيد طراد، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص ١٣.

(*) هو محمود سامي باشا بن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصري أول ناهض بالشعر
العربي من كبوته وأحد القادة الشجعان جركسي الأصل، ولد عام ١٨٣٩م، وتوفي عام ١٩٠٤م،
بالقاهرة من آثاره ديوان شعر، ومختارات البارودي أربعة أجزاء. (الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص
١٧١).

(٢) البارودي، ديوانه، شرح: علي عبد المقصود عبد الرحيم، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية،
٢٠٠٢م، ص ٤٥٩.

المبحث الثاني الوعظ

المواعظ باب لصيق بالخطب، لأن الموعدة هي الهدف الأول للخطيب الديني، وهي المادة التي تقوم عليها خطبته، وكل الخطباء يجدون من الموعدة وضرب الأمثال ما يستهوي قلوب السامعين، وكثيراً ما يستعملها غير الخطباء في مجالس الصلح والتوفيق بين الناس، ويستعملها أيضاً الزهاد والنسك ودعاة الإصلاح أمام الخلفاء والحكام^(١).

وتدل مادة وعظ في اللغة العربية على النصح والتذكير بالعواقب وهي تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه، ويقال: السعيد من وعظ بغيره والشقي من اتعظ به غيره^(٢)، وفي المنجد وعظ: نصح له أي ذكره ما يحمله على التوبة إلى الله وإصلاح السيرة^(٣)، وفي تاج العروس الوعظ هو التذكير في الخير بما يرقق القلب^(٤)، أما القاموس ففيه وعظه يعظه وعظاً وعظةً وموعظةً بمعنى ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ^(٥). وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد جاء بعدد من المواعظ مثل قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ لَعْرُورٌ﴾.

(سورة لقمان: ٣٣).

(١) د. عبد الجليل عبده شلبي، انظر الخطابه وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ١٦ شارع جواد حسني، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ٣٧٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، سنة ١٩٩٠م، ص ٣٤٥.

(٣) المنجد في اللغة، الطبعة السادسة والعشرون، دار المشرق بيروت، ص ٩٠٨.

(٤) الإمام اللغوي محب الدين بن الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، ج ٥، ص ٢٦٦.

(٥) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب التراث مؤسسة الرسالة، ص ٦٩٩.

وكذلك السنة النبوية إذ يقول الرسول ﷺ في الحديث: "أبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم"^(١).
 وجاء في الأثر أن علي كرم الله وجهه قال: "من أراد الغنى بغير مال، والكثرة بلا عشيرة فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة، أبا الله إلا أن يذل من عصاه"^(٢).

قال الأستاذ الزاهد أبو إسحاق الإلبيري:

كُلُّ إِمْرِيٍّ فِيمَا يَدِينُ يُدَانُ *** سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ
 يَا عَامِرَ الدُّنْيَا لَيْسَ كُنْهَا وَمَا *** هِيَ بِأَلَّتِي يَبْقَى بِهَا سُكَّانٌ
 تَقْنَى وَتَبْقَى الأَرْضُ بَعْدَكَ مِثْلَمَا *** يَبْقَى المُنَاخُ وَتَرَحَّلُ الرُّكْبَانُ
 أَسْرٌ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ *** وَزِيَادَتِي فِيهَا هِيَ النُّقْصَانُ^(٣)

هذه الأبيات تدور حول حقيقة الموت وعدم الخلود في الدنيا، فهي تنبيه وتحذير، وفي البيت الأول شطران كل منهما مستقل بمعنى من الحكمة فالإنسان كما يدين يدان، والله سبحانه وتعالى في كل مكان وهو لا يحده مكان ولا زمان، والدنيا فانية يعمرها الإنسان قليلاً ويمضي سريعاً، فالإلبيري يسائل نفسه كيف أسر بمرور كل يوم وإنما هو يأخذ من رصيد عمري، وفي المثل العربي: "كما تدين تدان"^(٤)، أي كما تفعل يفعل بك، والدين: الجزاء يقال دنت فلان بما صنع أي جزيته، ففي كلامه تحذير من الانغماس في الدنيا

(١) الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء،

دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ج ٩، ص ٣٢١.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، ب ت، ج ٣، ص ٨٣.

(٣) الإلبيري، ديوانه، ص ١٤٠.

(٤) لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٢م،

ص ١٣٢.

ولفت رقيق بعبارة لطيفة ويختلف هذا الكلام عن قول أبي العتاهيه(*) إذ يقول:

لدوا للموت وابنوا للخراب *** فلكم يصير إلى تباب^(١)
فكلام الأخير فيه تئيس ونظرة سوداوية ومثل هذا لا ينبغي أن يكون من الوعاظ الذين يعظون الناس، فيحكى أن الرشيد كره أن يسمع غلظة من واعظ جاءه، وقال: أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها، قال الرشيد: كلا، إن الله أمر من هو خيراً منك بالإنابة القول لمن هو أشد مني^(٢).

وفي البيت الثالث يصف الإنسان بأنه يرحل من الدنيا ويتركها مثل المناخ وهو مبارك الإبل والركبان جمع راكب وهو الذي يعلو ظهر البعير. أما البيت الرابع فمعناه متداول بين الشعراء وأشهر من تناوله أبو الفتح(*) البستي في قصيدته المشهورة:

زيادة المرء في دنياه نقصان *** وربحُه غير محض الخير خسران^(٣)
يقول الإلبيري:

أدال الشيبُ يا صاحِ شَبابي *** فَعَوَّضْتُ البَغِيضَ مِنَ الحَبِيبِ
وَبَدَّلْتُ التَّنَاقُلَ مِنَ نَشَاطِي *** وَمِنْ حُسْنِ النَّضَارَةِ بِالشُّحُوبِ
فِيَا لَهْفِي عَلَى طَوْلِ إِغْتِرَارِي *** وَيَا وَيْحِي مِنَ اليَوْمِ العَصِيبِ^(٤)

(*) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني من قبيلة عنزه شاعر مكثر سريع الخاطر في شعره إبداع وهو من مقدمي المولدين. (الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٣٢١).

(١) ديوانه، ط دار صادر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ص ٤٦.

(٢) د. عبد الجليل عبده شلبي، الخطابه وإعداد الخطيب، ص ٣٧٧.

(*) هو علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد عبد العزيز الشافعي، أديب وكاتب توفي ٤٠١هـ البغدادي، هدية العارفين، ص ٦٨٥.

(٢) قصيدته عنوان الحكم، ضبطها وعلق عليها عبد الفتاح أبو عزة، بيروت - لبنان، ط ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٢٦.

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٦.

في الأبيات السابقة يتحدث الشاعر عن الشيب، ويقول إنني بدلت ما أحب بما أكره ويتحسر على اغتراره بالدنيا ويرثي نفسه من يوم القيامة وأهواله، فالدنيا لا تستحق أن يجري وراءها العاقل بل يجب عليه ألا يركن لها، يقول الفضيل بن عياض^(*): "لو إن الدنيا بحذافيرها عرضت علي ولا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه"^(١).

أيضاً نرى أبا العتاهية أشد حسرةً على شبابه، يبكيه بكاء حاراً ويفزع من المشيب فزعا شديداً ويراه علامة الموت ومقدمته يقول في ذلك:
 فَرَعْتُ إِلَى خِضَابِ الشَّيْبِ مِنْهُ *** وَإِنَّ نَصُولَهُ فَضَحَ الْخِضَابَا
 وَمَا مِنْ غَايَةٍ إِلَّا الْمَنَايَا *** لَمَنْ خَلَقَتْ شَبَابَهُ وَشَابَا^(٢)
 ولكن للوراق^(*) موقف آخر من الشيب فهو يبكيه ويتخذ منه نذيراً للموت وقرب الأجل، ويرى إنه إذا ما غذا الشيب رأس الإنسان، لم يبق له إلا الموت، وهذا هو حال الدنيا الإنتقال من حال إلى حال.
 يقول:

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجَلِ *** وَبَعْدَ فَوَاتِ الْأَمَلِ
 وَوَأَفِدَ شَيْبَ طَرَا *** بَعَقَبِ شَبَابِ رَحَلِ

(*) ابن مسعود بن بشر، التميمي، الطالقاني الأصل، الزاهد المشهور كان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق، كان مولده بأبيورد ومات سنة سبع وثمانين ومائة.(ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: د. يوسف علي طويل، ط ١، ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٤٨٣).

(١) الإمام القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام عبد الحليم محمود والدكتور محمد بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ط ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٤٨.

(٢) ابو العتاهية، ديوانه، ص ٢١.

(*) هو محمود بن حسن الوراق، شاعر أكثر شعره في المواعظ والحكم وهو صاحب البيت المشهور:

إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعُذْرِ لَيْسَ بَبَيِّنٍ *** فَإِنَّ إِطْرَاحَ الْعُذْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ
 (الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ١٦٧).

شَبَابٌ كَأَنَّ لَمْ يَكُن *** وَشَيْبٌ كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ^(١)
فالبكاء هنا أظنه ليس حزناً على النفس، بل هو فرحة اللقاء بربه،
وانتصاره عليها، بفقدان الأمل في الدنيا وابتعادها عن الأمانى فيها من
شواغل الحياة.

يقول الإلييري:

إذا لم يكن فهمي إلى الخير قائدي *** فلا كان فهمي لا ولا كان تمييزي
تطلبت أخوان الصفاء فوجدتهم *** زيوفاً كأعمالي ومن لي بإيزيز^(٢)
الشاعر في هذه الأبيات يرى أن الفهم ينبغي أن يدل على الخير وإلا
فلا فائدة فيه، ثم ربط في البيت الثاني بين صداقة الأصحاب الزائفة والأعمال
غير المقبولة أي غير الصالحة وشبهها بالذراهم الزيوف وهي المردودة
لغش.

وهذا الكلام يشبه إلى حد كبير قول أبي العتاهيه:

وَكَيْفَ تُرِيدُ أَنْ تُدْعَى حَكِيمًا *** وَأَنْتَ لِكُلِّ مَا تَهْوَى رَكُوبٌ
أَتَطْلُبُ صَاحِبًا لَا عَيْبَ فِيهِ *** وَأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عِيُوبٌ^(٣)
فكلام الشاعر واضح ففيه استحالة بوجود الصديق الذي لا عيب فيه
ويؤيد ذلك قول بشار^(*) بن برد:

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الذُّنُوبِ مُعَاتِبًا *** صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى *** ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ^(١)

(١) الدكتورة نجاح العطار، المعرفة مجلة ثقافية شهرية، السنة الرابعة والثلاثون العدد ٣٨٦، نوفمبر
١٩٩٥م، ص ٢٣٣.

(٢) الإلييري، ديوانه، ص ٨٢.

(٣) أبو العتاهيه، ديوانه، ص ٣٦.

(*) هو أبو معاذ بشار بن برد بن يرجوخ وهو بصري، قدم بغداد، وكان يلقب بالمرعث ومات في
البطيحة بالقرب من البصرة سنة سبع، وقيل ثمان وستين ومائة. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١،
ص ٢٦٤).

والمعنى: إذا كنت تعاتب صديقك على كل هفوة يرتكبها فلن تجد صديقاً لا تعاتبه لأن جميع الأصدقاء يرتكبون الأخطاء ويزلون، فإذا أبيت إلا أن تشرب الماء الصافي الخالي من الكدر، فإنك ستبقى ظماناً لأنك لن تجد ماء خالياً من الشوائب، وهكذا المجتمعات والأصحاب إذا لم تقبلهم على علاتهم ستفقدهم جميعاً، فيجب على الإنسان أن يعض الطرف عن زلات الأصدقاء، ويتحملهم عندما يقسون عليه، وهنا شبه الشاعر تحمل الأصدقاء بشرب الماء الذي به قذى، وهو ما خالط الماء الزلال، فيقلل من نظافته، وتحمل الناس على أخطائهم من الحكمة لأن الحكمة تقتضي من صاحبها ترك كثير مما يحب، ويؤيد ذلك قول عمرو بن العاص:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه *** ولم ينه قلباً غايباً حيث يما
وقضى وطراً منه وغادر سبه *** إذا ذكرت أمثالها تملأ الغما^(٢)

ويقول الإلبيري:

كَمَ آمِنِ الْمَنُونِ لَاهِ *** عَنِ الرَدَى بَاتَ مُطْمَئِنًّا
صَبَّحَهُ وَإِفْدُ الْمَنَايَا *** فَعَايِنَ الْمَوْتَ حِينَ عَنَّا
حَتَّى إِذَا مَا قَضَى بَكَاهُ *** حَمِيمُهُ مُعْوِلاً مُرِنَّا
وَارَوْهُ فِي لَحْدِهِ وَسَنَوَا *** عَلَيْهِ قَيْدَ التُّرَابِ سَنَّا
لِمِثْلِ هَذَا فَكُنْ مُعِدًّا *** مَا قَدْ أَعَدَّ الْهُدَاةُ مِنَّا^(٣)

يتوجه الشاعر بالخطاب في هذه الأبيات إلى المستغرق في الدنيا المشغول عن الآخرة، الذي لا يحسب حساب اليوم الموعود، وهو آخر ساعة

(١) ديوانه، شرح: حسين حموي، دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٢٦.

(٢) ابن عبد البر، الإستهباب في معرفة الأصحاب، تحقيق: الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٥م، ج ٣، ص ٢٦٨.

(٣) الإلبيري، ديوانه، ص ١٤٢.

من ساعات الحياة الدنيا، وأول ساعة من زمن الآخرة هو الموت، ويخبرنا القرآن الكريم أن جميع البشر سوف يدركهم الموت، إذ يقول الله تعالى في محكم تنزيله:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾. (سورة العنكبوت: ٥٦).

وذكر الموت واجب لأن الرسول ﷺ يقول: "أكثرنا من ذكر هادم اللذات، قالوا وما هادم اللذات؟ قال: الموت" (١).

وهناك قصيدة لزاهد المشرق أبو العتاهيه تحمل نفس المضمون

وتصب في هذا المعنى وهي بعنوان هادم اللذات فلنرى ماذا قال فيها:

كَأَنِّي بِرَهْطِي يَحْمِلُونَ جَنَازَتِي *** إِلَى حُفْرَةٍ يُحْتَى عَلَيَّ كَثِيبُهَا
فَحَتَّى مَتَى حَتَّى مَتَى وَإِلَى مَتَى *** يَدُومُ طُلُوعُ الشَّمْسِ ثُمَّ غُرُوبُهَا
وَإِنِّي مِمَّنْ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَالْبَلَى *** وَيُعْجِبُنِي رِيحُ الْحَيَاةِ وَطَيْبُهَا
أَيَا هَادِمِ اللَّذَاتِ مَا مِنْكَ مَهْرَبٌ *** تُحَازِرُ نَفْسِي مِنْكَ مَا سَيُصِيبُهَا
رَأَيْتُ الْمَنَايَا قُسِّمَتْ بَيْنَ أَنْفُسٍ *** وَنَفْسِي سَيَّاتِي بَعْدَهُنَّ نَصِيبُهَا (٢)

كلا الشاعرين تحدثا ووعظا ووعظاً مفاده إن على الإنسان أن يستعد للموت ويعتبر بمن سبقوه إلى القبر وهو كما قال ابن المبارك كلمة الصدق مبنية متجسمة فكل ما حولها يتكذب ويتأول وليس فيها هي إلا معناها لا يدخله كذب ولا يعتريه تأويل (٣).

والقبر كما قال الرافعي كلمة صدق فهو الرائد الذي لا يكذب أهله فينبغي على الإنسان أن يتعظ به ويستصحب ذكره في كل حين وأن لا يغتر بالشباب ويستثمره في اللهو.

(١) الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، دار الدعوة - دار سحنون، الطبعة الثانية،

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ١٤٢٢.

(٢) أبو العتاهيه، ديوانه، ص ٢١٣.

(٣) الرافعي، انظر الجانب الإسلامي في أدب الرافعي، عبد الستار علي السطوح، دار الإعتصام،

ص ٢١٣.

يقول الإلبيري:

وَلَا تَقُلُ الصِّبَا فِيهِ مَجَالٌ *** وَفَكَّرَ كَمْ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنَتَا^(١)

ولأبي العتاهية: بيت في هذا المنحى أحسبه شديد الشبه ببيت الإلبيري

وفيه توارد في خاطر إذ يقول:

مات ما بين الجنسين إلى الرضيع *** إلى العظيم إلى الكبير الأشياء^(٢)

من خلال هذين البيتين يتضح لنا إن الموت يجتاح الصغير والكبير،

ولا يتخير أحداً دون الآخر.

فلذلك الإلبيري يحذر ويعظ من اللهو، أيضاً أكثر في شعره من

المواعظ البالغة والأقوال الحكيمة إذ لم يتوان في تقديم النصيحة للإنسان

فذكره بالموت والفناء والحساب والعقاب، ودعاه إلى التقوى والعمل الصالح،

فجاء شعره ثمرة ناضجة لكل ذلك.

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٠.

(٢) أبو العتاهية، ديوانه، ص ٤٥.

المبحث الثالث الرثاء

الإنسان العربي قد يدفعه ألم الفقد، فينطق لسانه ببيان من فقده، وموضع الآلام في نفسه، والرثاء ميدان واسع للقول البليغ، يكشف فيه الإنسان عن ألم اللوعة، وحزها في النفس إذ ينفثق بما انفطر به القلب وانشقت المرائر^(١)، والرثاء في اللغة من قولهم (رثيت الميت رثياً)، بالفتح ورثاية بكسرهما ومرثاة ومرثية مخففة، وعلى الأخير اقتصر الجوهري ورثوته أيضاً إذا بكيته وعددت محاسنه^(٢)، وتقول رثى فلان لفلان إذا رق له لأن الميت تخشع له القلوب وترق له النفس والفرق بين الرثاء والتأبين إن الرثاء هو تعديد محاسن الميت، والأسف عليه والرق له، والتأبين هو مدح الرجل بعد وفاته^(٣)، والرثاء كأحد أغراض الشعر وجد حيزاً كبيراً في التراث الشعري عند العرب على مختلف أزمنته وعصوره.

وعلى الرغم من أن التعبير عن الحزن قديم قدم الإنسان نفسه إلا أن الصورة البدائية له ليست معروفة تماماً، شأنها شأن فنون القول الأخرى إلا أن بعضهم يرى أن المرثية نشأت نشأتها الأولى من نذب النوائح المجرد من القوالب، ولهذا غلب تعهده بعد ذلك على النساء^(٤)، وعندما جاء الإسلام حرم

(١) الإمام محمد أبو زهرة، الخطابة أصولها تاريخها في عصورها عند العرب، الطبع والنشر دار الفكر العربي، ص ٢٢٥.

(٢) محي الدين أبي الفضل الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، دون تاريخ، ج ١٠، ص ١٤٤.

(٣) أحمد بن إسماعيل بن الأثير، جواهر الكنز، تحقيق محمد زغلول، القاهرة، منشأة المعارف، ١٩٠٠م، ص ٧٨.

(٤) كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله للعربية: د. عبد الحليم النجار، ط الثانية، دار المعارف، مصر، دون تاريخ، ج ١، ص ١٦٤.

النواح وما شابها، بقول الرسول ﷺ: "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوة الجاهلية"^(١).

وقد قيل أنه "لم يقل في شيء قط كما قيل في هذا الباب، لأن الناس لا ينفكون من المصائب، ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه ومن لم يعدم نفيساً كان هو المعدوم دون النفيس، وحق الناس الصبر على النوائب، وعلى فراق المألوف حرقه لا تدفع، ولوعة لا ترد، إنما لا يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة في الآخرة وجميل الذكر"^(٢).

ولكل شاعر مذهب في النواح والبكاء وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطاً بالتلف والأسف والإستفهام^(٣).
وشاعرنا بدأ رثائه بنفسه ولامها قبل موتها بقوله:

وَمَا آسَى عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ *** عَلَى مَا قَد رَكِبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ
فِيَا لَهْفِي عَلَى طَوْلِ إِغْتِرَارِي *** وَيَا وَيْحِي مِنَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ
إِذَا أَنَا لَمْ أَنْحْ نَفْسِي وَأَبْكِي *** عَلَى حُوبِي بِتَهْتَانِ سَكُوبِ
فَمَنْ هَذَا الَّذِي بَعْدِي سَيِّبِي *** عَلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبِ^(٤)

فالشاعر لم يندم على ما فات من الدنيا ولكن ذنوبه التي ارتكبها تؤرق مضجعه وتطرد النوم من عينه، وأحسب أن بهرج الدنيا ونعيمها الزائل لا يغري شاعرنا بشيء فهو يخيف نفسه من هول اليوم العصيب والعصيب من الأمر والأيام هو الشديد.

(١) الإمام ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله

ابن باز، نشر وتوزيع إدارة البحوث، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ، ج ٣، ص ١٦٥.

(٢) أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، نشر مؤسسة المعارف، بيروت، دون تاريخ، ص ١٧.

(٣) ابن رشيق، العمدة، الجزء ٢، ص ١٤٧.

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٧.

أيضاً رثى الإلبيري أصحابه ممن اتصفوا بالتقوى وصدق المودة،
وفيها كذلك رثاء لنفسه إذ يقول:

فَإِنَّ الرَّدَى غَالِ أَهْلَ التُّقَى *** فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الغَشُومُ العَنِيدُ
وَأودَى بِكُلِّ خَائِلٍ وَدَوْدٍ *** فَأَيْنَ وَلَا أَيْنَ خَلٌّ وَدَوْدُ
وَكَمْ مِنْ أَخِي تَقَةً قَدْ لَحَدْتُ *** فَلِلَّهِ مَا غَيَّبَتْهُ اللُّهُودُ^(١)

فيرى الإلبيري أن الموت ينتقي إنتقاءً ويختار الأفاضل، ويبقى على
أراذل الناس، فإبقاؤه على الغشوم أكبر دليل على ما ذهب إليه، والغشوم هو
صيغة اسم الفاعل من غشم وغشم الوالي الرعية، بمعنى ضبطهم بعسفه وأخذ
كل ما قدر عليه وأراده، والعنيد من عند بمعنى عتي وطغا وتجاوز قدره،
فكأنما الموت عند الشاعر يتصيد الأحسن ويهمل الأسوأ.

كذلك قال رحمه الله في خراب إلبيره:

حينما اتسعت الدولة العربية الإسلامية بالفتوحات، وعمر أهلها المدن،
وشيدوا الممالك، وبنوا القلاع، وأقاموا الحصون، ليدفعوا بها غلبة الأعداء
والخصوم صارت هذه المدن والممالك جزءاً من حياتهم، وأصبحت دالة على
حضارتهم وإمكاناتهم وعقلياتهم، عبروا عنها بصدق الأحاسيس، وإخلاص
المواقف وحين سقط بعضها بأيدي الأعداء، بكوا بكاء حاراً يحفل بصدق
المشاعر وبعمق الوجدان^(٢).

يُضَيِّعُ مَفْرُوضٌ وَيَغْفَلُ وَاجِبٌ *** وَإِنِّي عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ لَعَاتِبٌ
أَتُنَدَّبُ أَطَالَ البِلَادِ وَلَا يُرَى *** لِإِلبيرَةِ مِنْهُمُ عَلَى الأَرْضِ نَادِبٌ
عَلَى أَنَّهَا شَمْسُ البِلَادِ وَأُنْسُهَا *** وَكُلُّ سِوَاهَا وَحْشَةٌ وَغِيَاهِبٌ

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ١٣٥.

(٢) جرش للبحوث والدراسات، مجلة علمية نصف سنوية محكمة، تصدر عن جامعة جرش، العدد

الأول ١٩٩٦م، ص ٨٤.

لَعَهْدِي بِهَا مُبِيضَةٌ اللَّيْلِ فَاغْتَدَّتْ *** وَأَيَّامُهَا قَدْ سَوَدَّتْهَا النَّوَائِبُ
وَمَا كَانَ فِيهَا غَيْرُ بُشْرَى وَأَنْعَمِ *** فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا الْآنَ إِلَّا الْمَصَائِبُ
وَأَيْنَ بَحَارُ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالنَّدَى *** وَأَيْنَ الْأَكْفُ الْهَامِيَاتُ السَّوَائِبُ
شَقَقْنَا عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ جُيُوبَنَا *** وَكَانَ قَلِيلاً أَنْ تُشَقَّ التَّرَائِبُ^(١)

ومن مشهور ما قيل في ذلك قول الأديب الشهير أبي البقاء^(*) صالح بن شريف الرندي فهو أيضاً من الذين بكوا الأندلس بحرقه وحزن عميق إذ يقول:
لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ *** فَلَا يُغَرَّ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُولُ *** مَنْ سَرَّهُ زَمَنَ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ^(٢)

وتعد قصيدة الرندي هذه من أشهر قصائد الأندلسيين في رثاء الأندلس، لأن فيها صرخة صادقة لاستنهاض المسلمين على أعدائهم، ودعوه إلى الجهاد ضد جيوش الكفر التي طالت أرض الأندلس، وكان يحرض حكام المسلمين على استعادتها من الجيوش الغازية بقوله:

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَيْضَاءُ رَأَيْتَهُ *** أَدْرِكُ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ لَا كَانُوا^(٣)
وتقدم هذه القصيدة قدراً عالياً من التصور الفني.

(١) الإليبري، ديوانه، ص ٨٥.

(*) أبو البقاء صالح بن شريف الرندي، نسبة إلى رنده، شاعر أندلسي متأخر من أبناء القرن التاسع الهجري، ذكره المقري في نفع الطيب ولم يذكر شيئاً من أخباره، إلا أنه اشتهر بقصيدته السائرة في رثاء الأندلس.

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ

(دائرة المعارف، إدارة فؤاد أفرام البستاني، ج ٤، بيروت، ط ١٩٦٢م، ص ٢٠٥).

(٢) الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شرحه: د. مريم قاسم طويل و د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج ٦، ص ١٤٤.

(٣) جرش للبحوث والدراسات، مجلة علمية نصف سنوية، ص ٢٤٤.

ومن ذلك قوله يحرض المجاهدين المسلمين، لينفذوا بلادهم التي غزاها

النصارى الحاقدون:

يا راكبين عتاق الخيل ضامرةً *** كأنها في مجال السبق عقبانُ
وحاملين سيوف الهند مرهفةً *** كأنها في ظلام النقع نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعةٍ *** لهم بأوطانهم عزٌّ وسلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلسٍ *** فقد سرى بحديث القوم ركبَانُ^(١)

الأبيات السابقة يحذر فيها الشاعر قومه من الإستسلام للدعة، ويحرضهم كذلك على جهاد أعداء الإسلام، وربما تتصدر أفكاره العالية، ومعانيه الناضجة كل ما تحمله القصيدة من مفردات المنجز الشعري.

كما يعتمد النص، التصوير الفني الجيد في تحذيره للمجاهدين، لكي لا يستسلموا للدعة كما رأينا، فهم أولاً (راكبين عتاق الخيل) و(حاملين سيوف الهند) وفي هذا تصوير ليقظتهم وشجاعتهم وهم ثانياً (راتعين في دعة) وهو تحذير لما قد يوقعهم في براثن الإستسلام والدعة والقعود عن الجهاد.

وقال أيضاً - رضي الله عنه - يرثي إمرأته:

تكاد صورة الزوجة تتضح في شعر الرثاء فتظهر فيه مفاهيم وقيم ومثل حاولت أن تحرص عليها وتصونها كالانسجام والتآلف الروحي وحسن المعاشرة وطيبها، وطهارة العرض، وأصالة العرق ولعل الألبيري جسد لنا كل ذلك في زوجته^(٢) قائلاً:

عُجْ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْبِيَابِ الْغَامِرِ *** وَإِرْبَعٍ عَلَى قَبْرِ تَضَمَّنَ نَاطِرِي
فَسْتَسْتَبِينُ مَكَانَهُ بِضَجِيعِهِ *** وَيَنِمُّ مِنْهُ إِلَيْكَ عَرْفُ الْعَاطِرِ
فَلَكُمْ تَضَمَّنَ مِنْ تُقَىٍّ وَتَعَفُّفٍ *** وَكَرِيمِ أَعْرَاقٍ وَعَرِضِ طَاهِرِ

(١) التلمساني، نوح الطيب، ص ٢٤٤.

(٢) د. سلمى سليمان علي، انظر المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف، المكتبة الثقافية الدينية، ط الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م، ص ٧٥.

وَإِقْرَ السَّلَامَ عَلَيْهِ مِنْ ذِي لَوْعَةٍ *** صَدَعَتْهُ صَدْعاً مَا لَهُ مِنْ جَابِرٍ
فَعَسَاهُ يَسْمُحُ لِي بِوَصْلِ فِي الْكُرَى *** مُتَعَاهِداً لِي بِالْخِيَالِ الزَّائِرِ
قَطَعَ الزَّمَانَ مَعِيَ بِأَكْرَمِ عَشْرَةٍ *** لَهْفِي عَلَيْهِ مِنْ أَبْرٍ مُعَاشِرٍ^(١)

لقد إحتلت الزوجة مكانة مرموقة عظيمة في نفس زوجها، تمثلت
برابطة متينة سامية، وعلاقة محكمة الأواصر، نلاحظها جلية واضحة في
شعر الإلبيري تمثلت في جزعه وحزنه عليها، وربما كان من أصدق الوفاء
للزوجة والإخلاص الروحي لها قوله:

إِنِّي لِأَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ مُغَيَّبٌ *** فِي لَحْدِهِ فَكَأَنَّهُ كَالْحَاضِرِ
أَرعى أَدِمَّتَهُ وَأَحْفَظُ عَهْدَهُ *** عِنْدِي فَمَا يَجْرِي سِوَاهُ بِخَاطِرِي
إِنْ كَانَ يَدْتُرُ جِسْمُهُ فِي رَمْسِهِ *** فَهَوَايَ فِيهِ الدَّهْرَ لَيْسَ بِدَائِرٍ^(٢)

وعند شاعرنا بدت الزوجة مثلاً للنزاهة ونهجاً للهداية فهو يشير إلى
أنها يمكن أن تتخذ علماً كي يهتدي به عندما يقول:

وَإِذَا أَرَدْتُ نَزَاهَةً طَالَعْتُهَا *** فَأَجُولُ مِنْهَا فِي أَنْيْقِ زَاهِرِ
وَأَرى بِهَا نَهْجَ الْهَدَايَةِ وَاضِحاً *** يَنْجُو بِهِ مَنْ لَيْسَ عَنْهُ بِجَائِرٍ^(٣)
ولمكانة الزوجة المتميزة، تبدو الحيرة واضحة، والجزع الشديد،

والفجوة الواسعة التي تركتها لزوجها بعد رحيلها متمثلة في قوله:

قَدْ أَنْ لِي أَنْ أَسْتَفِيقَ وَأَرَعَوِي *** لَوْ أَنَّي مِمَّنْ تَصِحُّ بِصَائِرِي
فَلَكُمْ أَرْوْحُ وَأَعْتَدِي فِي غَمْرَةٍ *** مُتَرَدِّداً فِيهَا كَمَثَلِ الْحَائِرِ
وَأَرى شَبَابِي ظَاعِناً فِي عَسْكَرٍ *** عَنِّي وَشَيْبِي وَافِداً بَعْسَاكِرٍ^(٤)

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٩٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٩١.

(٣) المصدر السابق، ص ٩٢.

(٤) نفسه، ص ٩٣.

كذلك من المحدثين الذين رثو زوجاتهم رثاءً صادقاً نلمس فيه حرارة

العاطفة، وألم الفقد، ومكابدة الحرمان محمود سامي البارودي إذ يقول:

أَيْدِ الْمُنُونِ قَدَحَتْ أَيْ زِنَادٍ *** وَأَطْرَتْ أَيْتَةً شُعْلَةً بِفُؤَادِي
أَوْهَنْتِ عَزْمِي وَهُوَ حَمَلَةٌ فَيَلْقَى *** وَحَطَمَتْ عُودِي وَهُوَ رُمْحُ طِرَادٍ
مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أُرَاعُ لِحَادِيثٍ *** حَتَّى مُنِيَتْ بِهِ فَأَوْهَنْتِ أَدِي
لَا لَوْعَتِي تَدْعُ الْفُؤَادَ وَلَا يَدِي *** تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي
يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ *** كَانَتْ خُلَاصَةَ عُدَّتِي وَعَتَّادِي
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ ضِنَائِي لِبُعْدِهَا *** أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي^(١)

وعلى ما يبدو أن الزوجة في شعر الألبيري ومن نهج نهجه، اسم

تتجلى فيه كل معاني الألفة ونكران الذات.

ومما سبق نحسب أن قصيدة الرثاء لم تكن مجرد معرض يعرض فيها

الناظم صفات الفقيد بل كانت الغاية منها أسمى من ذلك فهو يعرض فيها

أحاسيسه ومشاعره تجاه الموت وفقد الأحبة.

(١) محمود سامي البارودي، ديوانه، شرح علي عبد المقصود عبد الرحيم، دار الجيل، بيروت، ط

الثانية، ٢٠٠٢م، ص ١٤٥.

المبحث الرابع أغراض أخرى

هنالك أغراض لم تكن رئيسية عند شاعرنا، ولكنه تعرض لها ونذكر منها على سبيل المثال:

المطلب الأول: المدح:

والمدح هو فن الثناء والإكبار والإحترام، قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري لجوانب من حياتنا التاريخية، فساعد على إبراز كثير من الصفات والألوان لم تكن تعلم لولاه^(١)، والمديح في اللغة هو اسم مشتق من الفعل الثلاثي مدح يمدح مدحاً فلاناً إذا أحسن الثناء عليه أي ضده ذمه، وجمع المديح المدائح، والأمدوحة أماديح بمعنى ما يمدح به^(٢).

وإنما نشأ فن المديح عند العرب إعجاباً بالفضيلة، وثناء على صاحبها وحباً بالجليل من الأعمال، واهتزازاً أمام الأريحية وأمام الشجاعة وإكباراً للمروءة، وتقديراً للنبيل، وحثاً على كل ما من شأنه أن يسير بالإنسان نحو الأفضل من الأوضاع^(٣).

وقد اعترى المديح في العصر الجاهلي حب التكسب لرغبة الملوك والسادة فيه ولحاجة الشعراء إلى الرفعة والمجد والغنى، فصار وسيلة أو حرفة لكسب العطايا الجزيلة من الممدوحين وفناً يعنى به عناية بالغة التأثير في ذوي السلطان والنوال^(٤).

(١) سامي الدهان، انظر المديح، دار المعارف بمصر، ص ٥.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة مدح في فصل الميم، ج ٢، ص ٥٨٩.

(٣) أحمد أبو حاق، فن المديح وتطوره في الشعر العربي، القاهرة دار الشروق، ط ١، ١٩٦٢م، ص

١٥.

(٤) جورج غريب، الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ط ١، ١٩٦٨م، بيروت دار الثقافة، ص ٧٥.

أما المديح في العصر الإسلامي فقد عني أكثر بتمجيد الرسالة المحمدية والحث على الخلق الفاضل، والصفات النبيلة التي أقرها الإسلام وشاعرنا لم يخرج عن الإطار الذي حدده الإسلام ورسمه للمدح، وهو لم يمدح سوى ابن توبة القاضي ومدحه بما فيه من صفات دينية وعدلية، وهذا إن دل إنما يدل على متانة العلاقة التي كانت تربطه بالقضاة والعلماء وما كان بينه وبينهم من معاني الألفة والمودة والإحترام.

فلنرى ماذا قال في ابن توبة ورفاقه من الفقهاء:

بِعَلِيٍّ بَنِ تَوْبَةَ فَازَ قِدْحِي *** وَسَمَتَ هَمَّتِي عَلَى الْجَوَازِ
 فَهَنِيئاً لَنَا وَلِلدِّينِ قَاضٍ *** مِثْلُهُ عَالَمٌ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ
 يَحْسُمُ الْأَمْرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعَدَّ *** لِكِحْسَمِ الْحُسَامِ لِلْأَعْدَاءِ
 لَوْ إِيَّاسٌ يَلْقَاهُ قَالَ إِعْتِرَافاً *** غَلَطَ الْوَاصِفُونَ لِي بِالذِّكَاةِ
 لَوْ رَأَى الْمُنْصِفُونَ بَحْرَ نَدَاهُ *** جَعَلُوا حَاتِماً مِنَ الْبُخْلَاءِ
 يَشْهَدُ الْعَالَمُونَ فِي كُلِّ فَنٍّ *** أَنَّهُ كَالشَّهَابِ فِي الْعُلَمَاءِ
 وَقُضَاةُ الزَّمَانِ أَرْضٌ لَدَيْهِ *** وَهُوَ مِنْ فَوْقِهِمْ كَأَفْقِ السَّمَاءِ^(١)

المطلب الثاني: الهجاء:

والهجاء غرض من أغراض الشعر الغنائي عند العرب يجرده فيه المهجو من القيم والمثل والأخلاق ويكشف عن عيوبه ونقائصه بقصد إهانتته والإزدراء به.

وهو في اللغة من هجا: يهجو هجواً بمعنى شتمه بالشعر وهو خلاف المدح^(٢) وبات مع الحطيئة^(*).

(١) الإليبي، ديوانه، ص ٩٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٢.

(*) الحطيئة بن أوس بن مالك العبسي، أبو مليكة، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام كان هجاءً عنيفاً لم يكذب يسلم من لسانه أحد هجا أمه وأباه ونفسه. (الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١١٨).

أداة للتكسب، ولعل هذا الشاعر أشهر هجائي العرب في الجاهلية والإسلام^(١).

والهجاء طبيعة النفس الإنسانية، جاءت نتيجة تفاوت الناس في حظوظهم من الرزق والجمال والجاه والسلطان، والمنافسة عادةً هي التي تدفع الناس إلى الهجاء والتعبير عن شعورهم بالسخط تجاه الخصوم، وقد كان الهجاء أقدم عادةً وأثراً من آثار حب الانتقام والتشفي والثأر^(٢).

وجاء الإسلام وأنكر على منتسبيه الهجاء وأوصد الباب أمامهم لأن موضوعه يدخل فيما نهى الله عنه قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللَّغَبِ بئسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. (سورة الحجرات: ١١).

غير أن الهجاء في الإسلام اتجه اتجاهاً آخر وذلك بالنيل من أعداء الله ورسوله ، والهجاء كان متصلاً بالقيم الإسلامية والمثل الدينية فالشاعر حين يعيب على المهجو انحرافاً عن دينه وعزوفاً عن الاستقامة، وانصرافاً إلى الآراء والأفكار والقيم الوافدة، يكون هجاؤه هجاءً إسلامياً ودينياً.

وشاعرنا هجائه يدور حول هذه المعاني فهو قد هجا أبو بكر ابن الحاج، وكان هذا المدعو أبو بكر قد هجا أبا الحسن بن توبة وجماعة من الفقهاء فتصدى له الإلبيري ساعتئذ وفي القصيدة هجاء مر وتشف ظاهر فقد تبني شاعرنا وجه نظر الحكم القضائي الذي أنفذه القاضي بن توبة في الشاعر.

(١) جورج غريب، الجاهلية فن وأدب وتاريخ، ط ١، ١٩٦٨م، بيروت، دار الثقافة، ص ٧٦.

(٢) يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ط ١، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م، ص

أبي بكر الحاج، بعد تطاوله على القاضي خاصةً وجماعة من الفقهاء أيضاً، وقد وصف ضربه بالسوط وصور أثره في بدنه ونفسه، وعيره بذلك وبين له أن تلك العقوبة هي كفاء هجائه، وحذره من مغبة استرساله في طول لسانه وسرد بعض فضائل القضاة والفقهاء عامةً، وابن توبة خاصةً، وأيد قضاءه وفي ذلك يقول:

السوطُ أبلغُ من قالٍ ومِن قيلٍ *** وَمِن نُبَاحِ سَفِيهِ بِالْأَبَاطِيلِ
مُرُّ المَذَاقِ كَحَرِّ النَارِ أَبْرَدُهُ *** يُعَقِّلُ المَتَعَاطِي أَيَّ تَعْقِيلِ
رَأَى مِنَ الطِّبِّ مَا بُقْرَاطُ لَمْ يَرَهُ *** فِي بُرِّ كُلِّ سَخِيفِ العَقْلِ مَخْذُولِ
ضَنْبِيلُ جِسْمٍ تَخَافُ الخَيْلُ سَطْوَتَهُ *** أَعْدَى وَأَطْغَى مِنَ التِّمْسَاحِ فِي النَيْلِ
يَرْقُصُ المَرءَ تَرْقِيصاً بِلا طَرْبٍ *** لَوْ كَانَ أَثْقَلَ أَوْ أَجْسَى مِنَ الفَيْلِ
عِنْدَ السَّخِيفِ بِهِ خُبْرٌ وَتَجْرِبَةٌ *** فَقدَ رَمَى تَحْتَهُ مَا عُدَّ بِالفَوْلِ
وَقَدَ حَسَا مِنْهُ أَمْرَاقاً مُفْلَلَةً *** جَشَّتْهُ شَرَّ الجُشَا مِنْ شَرِّ مَأكُولِ
فَقُلْ لَهُ إِنْ جَرَى هَجَوُ بِخَاطِرِهِ *** أَذْكَرُ قِيَامِكَ مَحْلُولِ السَّرَاوِيلِ
وَإِذْكَرُ عَقُوبَةِ مَا زَوَّرْتَهُ سَفَهَاً *** فِي السَّادَةِ القَادَةِ الشَّمِّ البَهَالِيلِ
هُمُّ لُبَابِ الوَرَى حَقّاً وَغَيْرُهُمُ *** عِنْدَ الحَقِيقَةِ أَبْقالُ الغَرَابِيلِ
إِنَّ ابْنَ تَوْبَةَ فِيهِمْ رَافِعٌ عَلماً *** مِنَ القَضَاءِ وَمُمْتَازٌ بِإِكْلِيلِ^(١)

فالناظر إلى هجاء شاعرنا يلمح فيه دفعاً للتعليم وإشتمزاز من الدناءات ورداً لسهام في صدور راميها، عن القضاة ورجال الدين ينشد فيهم ضالته من القيم الفاضلة والأخلاق الكريمة ولم نعثر له على هجاء سوى هذه القصيدة التي يدافع فيها عن ابن توبة والفقهاء الذين عناهم أبو بكر بن الحاج بهجائه.

المطلب الثالث: الحكمة:

ما سار شعر وطبق الآفاق وانتشر كالعبق بين الناس مثل شعر الحكمة، ولاحظي شعر بسيرورة شعرية عجيبة طوال هذه القرون مثل شعر

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ١٢٦.

الحكمة فالناس تحفظ وتردده، وتستشهد به في مواقف مختلفة وتتغنى به كثيراً^(١).

ومعنى الحكمة في اللغة ذكر الزمخشري: رجل محكم: بمعنى مجرب منسوب إلى الحكمة، وحكم الرجل مثل حلم أي صار حكيماً، وأحكمته التجارب جعلته حكيماً^(٢)، ومن أكثر التعريفات إيجازاً واختصاراً في تعريف الحكمة تعريفها بأنها: "كلام موافق للحق"^(٣). وقد أشار ابن منظور إلى الحديث الشريف: "إن من الشعر لحكمة"^(٤). بقوله: إن من الشعر لحكمة أي إن في الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه وينهي عنهما، قيل أراد بها المواعظ والحكم والأمثال التي ينتفع الناس بها، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم^(٥)، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...﴾ (سورة البقرة ٢٦٩).

وقد أروع الكثير من شعراء العربية بمعنى الحكمة في شعرهم عبر مسار الشعر العربي فشاعرنا تناول الحكمة في شعره لأنها تتناسب مع أغراضه الشعرية من زهد ووعظ وإرشاد للناس يقول الألبيري:

وَخَفَ أَبْنَاءَ جِنْسِكَ وَإِخْشَ مِنْهُمْ *** كَمَا تَخْشَى الضَّرَاغِمَ وَالسَّبَبْتَى

(١) د. عبد الله أحمد باقازي، انظر حول الحكمة في الشعر العربي، من إصدارات نادي مكة الثقافي الأدبي، ط ١٩٩٣م، ص ٥.

(٢) الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر بيروت، ط ١٩٨٤م، ص ١٣٧.

(٣) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٧٩م، ط ٢، ١٩٨٤م، بيروت - لبنان، ص ١٣٧.

(٤) الحافظ بن نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، ج ٧، ص ٢٦٩.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٤٣.

وَخَالِطُهُمْ وَزَايِلُهُمْ حِذَارًا *** وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ^(*) إِذَا لَمِسْتَا^(١)
وهذه الحكمة وغيرها من حكم الإلبيري تبرز عامل الخبرة والتجربة
الحياتية، فالإلبيري ينطلق فيها من خلال خبرات حياة، وتجارب عمر عاشه
في الحياة وانعكس ذلك على شعره، وللطغرائي^(*) أبيات بذات المعنى يقول
فيها:

أعدى عدوك أدنى من وثقت به *** فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وإنما رجل الدنيا وواحد لها *** من لا يعول في الدنيا على رجل^(٢)
وكذلك يقول الإلبيري:

وإذا تقم أعزل في مازق *** كان الأسير ولم يكن بالأسير^(٣)
أيضاً يقول آخر في بيت يشبه بيت الإلبيري:

ولا تقدمن على خطة *** تكون لك حثفاً ذفيفاً^(٤)
ومعنى الأبيات عند كلا الشعارين لا يخلوان من الحكمة، وهي أن
الإنسان ينبغي عليه ألا يوقع نفسه في شرك، وإذا تيقن من أمر أن له فيه
مضرة ينبغي عليه أن يتجنبه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿...وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى
التَّهْلُكَةِ...﴾. (البقرة ١٩٥).

(*) عظيماً في بني إسرائيل قيل هو منهم، دعاهم إلى الضلالة وعبادة العجل وجعل الله عقوبته أن لا
يماس الناس ولا يماسوه إلى يوم القيامة.

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٤.

(*) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد المعروف بالطغرائي، أديب، خبير بصناعة

الكيمياء، ولد بأصبهان ومن آثاره ديوان شعر جمعة بعض أحفاده،

(كحالة، معجم المؤلفين، ج ١، ص ٦٢٨).

(٢) الطغرائي، ديوانه، علي جواد الطاهر، ط ١٩٦٣م، بغداد مكتبة النهضة، ص ٤٥.

(٣) الإلبيري، ديوانه، ص ٩١.

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين، حققه: عبد الستار أحمد فرج، راجعه: محمود محمد شاكر،

القاهرة، مكتبة العروبة، ١٩٤٥م، ج ١، ص ٢٤.

كذلك يقول الإلبيري:

وَلَا تَقُلْ الصِّبَا فِيهِ مَجَالٌ *** وَفَكَرَّ كَمَ صَغِيرٍ قَدْ دَفَنَّا^(١)

وفي هذا المعنى يقول البستي:

لَا تَعْتَرِرْ بِشَبَابٍ وَارِفٍ خَضِلٍ *** فَكَمْ تَقَدَّمَ قَبْلَ الشَّيْبِ شُبَّانٌ^(٢)

ثم يزجي النصيحة بعد ذلك إلى الشباب والشيخ، أما الشباب فنصيحته لهم هي أن لا ينتشوا بكأس الشباب وما تتيحه لهم من متعة فالنشوة تحجب عنهم إدراك الحقيقة، وهي أن هذه الفترة لن تدوم كما يخيل إليهم، وإن المنية كم اختطفت من الشباب الأقوياء قبل الشيخ الكبار الضعفاء.

ثم يقول بعد ذلك:

لِيَقْبَحُ بِالْفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي *** وَأَفْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَقَتَّى^(٣)

وفي نفس المعنى يقول البستي في قصيدته المشهورة عنوان الحكم:

هَبِ الشَّبِيبَةَ تُبْلِي عُذْرَ صَاحِبِهَا *** مَا عُدْرُ أَشِيْبٍ يَسْتَهْوِيهِ شَيْطَانٌ^(٤)

ففي الأبيات سألقة الذكر النصح موجه إلى الشيخ من شاعرين حكيمين ملئت أفئدتها حكمة وتجربة، بأن ينتبهوا ويكونوا نصحاء لأنفسهم، ولو فعلوا لامتنعوا عن كثير من الوجوه التي لا تليق بأمثالهم، والتي لو وجدنا عذراً للشباب في ارتكابها لما وجدنا للشيخ مثله مهما حاولنا.

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٠.

(٢) البستي، قصيدة عنوان الحكم، ضبطها وعلق عليها: عبد الفتاح أبو غدة، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، لبنان - بيروت، ص ٢٧.

(٣) الإلبيري، ديوانه، ص ٣١.

(٤) البستي، عنوان الحكم، ص ٢٧.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول: بناء القصيدة

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب

المبحث الثالث: التجارب النفسية الباعثة على قرص الشعر

عند الإلبيري

المبحث الرابع: الخيال والصور الشعرية

المبحث الخامس: الموسيقى

المبحث الأول بناء القصيدة

أولاً مقدمة القصيدة:

كان للشعراء العرب مذهبان في مقدماتهم:

المذهب الأول هو الإبتداء بالنسيب وذكر الديار والدمن، وقد أشار إلى ذلك ابن قتيبة بقوله: "سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيدة، إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكاء وشكاً، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين^(١)، وفي مذهب آخر: يكافحوا أغراض القول كفاحاً من دون تقديم شيء بين يديه^(٢) وقد حظيت مقدمة القصيدة باهتمام كبير لدى النقاد، فعرفوها بأنها: "ظاهرة من الظواهر، التي صاحبت القصيدة العربية، على اختلاف الأعصار التي مرت عليها، والأمصار التي انتقلت إليها، وهي ظاهرة لم تتخذ شكلاً واحداً بل تعددت أشكالها، وتنوعت صورها، لا في العصور التي تلت العصر الجاهلي، بل في أول عهدها، يوم أن أصل شعراء الطليعة المبدعة في الجاهلية لقصائدهم مجموعة من التقاليد الفنية، التي كان من أشهرها حرصهم على افتتاح مطولاتهم بألوان مختلفة من المقدمات"^(٣).

(١) الشعر والشعراء، حققه وضبط نصه ووضع حواشيه: د. مفيد قميحة والأستاذ محمد أمين

الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص ٢٧.

(٢) د. عبد الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها، ط٤، الخرطوم سنة ١٩٩١م، دار جامعة الخرطوم للنشر، ص ٨٦٩.

(٣) حسن عطوان، مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م، ص ٢٥٦.

ووضع الجرجاني مقياساً يقيس به الشاعر الحاذق في صنعة الشعر، وأهمية المدخل وما يليه من الخروج والخاتمة، إذ يقول: "والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة"^(١).

أما أبو هلال العسكري، فقد اشترط لجودة مطلع القصيدة، عدة شروط، جاء قوله فيها: "إذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"^(٢).

وأولى ابن رشيق مطلع القصيدة عناية فائقة وسماه (المبدأ)، وعرف الشعر بأنه: "قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره، فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة، ليجتنب "الأ" و"خليلي" و"قد" فلا يستكثر منها عند ابتدائه، فإنها من علامات الضعف والتكلان، إلا القدماء الذين جروا على عرق، وعملوا على شاكلة، وقد اختار الناس كثيراً من الابتداءات"^(٣) كقول امرئ^(*) القيس:

قفا نَبَكِ مِنْ نِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ * * * بِسِقْطِ اللَّوِي بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ^(٤)

(١) الوساطه بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص ٤٨.

(٢) كتاب الصناعتين، حققه وضبط نصه: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨١م، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٤٩٦.

(٣) العمده، ج ١، ص ٢١٨.

(*) امرؤ القيس، بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق يمانى الأصل أمه أخت المهلهل الشاعر ويعرف بالملك الضليل لإضطراب أمره طول حياته، الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٢.

(٤) ديوانه، ضبطه وصححه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ص ١١٠.

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعة شاعر، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد وعن ابتداءات المحدثين، يقول ابن رشيق: "ومما اختير للمحدثين قول بشار بن برد".

أَبَى طَلَلٌ بِالْجِرْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ *** وَمَاذَا عَلَيْهِ لَوْ أَجَابَ مُنِيماً^(١)
ومقدمات القصائد عند شاعرنا جاءت وإن لم تكن كلها بل معظمها يدور حول الوعظ والزهد والتوجيه كقوله:

وَيْلٌ لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ *** مَاذَا يُقَاسُونَ مِنَ النَّارِ^(٢)
كذلك قوله:

مَا أَمِيلَ النَّفْسَ إِلَى الْبَاطِلِ *** وَأَهْوَنَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَاقِلِ^(٣)
أيضاً قوله:

الشَّيْبُ نَبَّهَ ذَا النَّهْيِ فَتَنَّبَهَا *** وَنَهَى الْجُهُولَ فَمَا اسْتَفَاقَ وَلَا انْتَهَى^(٤)
فمعظم قصائد شاعرنا كانت مقدماتها بإحدى المحاور سالفة الذكر إلا أن بعض القصائد جاءت بداياتها متنوعة حسب مقتضى الحال كقوله:

يُضَيِّعُ مَفْرُوضٌ وَيَغْفَلُ وَاجِبٌ *** وَإِنِّي عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ لَعَاتِبٌ^(٥)
ثانياً: الخروج أو التخلص:

لما كانت القصيدة العربية متعددة الأغراض غالباً، اشترط النقاد على الشعراء حسن الخروج من جزء إلى جزء خروجاً يشعر بالتحام الأجزاء وتماسكها، وهذا ما يطلقون عليه حسن التخلص وعرف بن رشيق الخروج

(١) بشار بن برد، ديوانه، شرح: حسين حموي، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ — ١٩٩٦م، ج٢، ص ٤٩٦.

(٢) الألبيري، ديوانه، ص ١٠١.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٦.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٥٣.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٨٥.

بقوله: "هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف وتخيل، ثم تتمادى فيما خرجت إليه^(١) كقول حبيب^(*):"

صُبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا صُبًّا مِنْ كَثْبٍ *** عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرَّوْعِ مُنْتَقِمًا
سَيْفُ الْإِمَامِ الَّذِي سَمَّتْهُ هِمَّتُهُ *** لَمَّا تَخَرَّمَ أَهْلَ الْكُفْرِ مُخْتَرِمًا^(٢)
وعرفه ابن الأثير^(*) بقوله: "هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه آخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه كأنما أفرغ إ فراغاً، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه، من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه، ويكون متبعاً للوزن والقافية فلا تواتيه الألفاظ على حسب إرادته"^(٣).

ومن التخلصات التي مدحها النقاد قول البحري:

شَقَائِقُ يَحْمِلُنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ *** دُمُوعُ النَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ
كَأَنَّ يَدَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ أَقْبَلَتْ *** تَلَيْهَا بِنْتُكَ الْبَارِقَاتِ الرَّوَاعِدِ^(٤)

(١) العمده في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت - لبنان، الجزء الأول، ص ٢٣٤.

(*) حبيب بن أوس بن الحارث الطائي أبو تمام: الشاعر الأديب أحد أمراء البيان، ولد في جاسم وتوفى بالموصل وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب خلاف القصائد والمقاطع، الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٦٥.

(٢) أبي تمام، ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، ج ٢، ط دار المعارف القاهرة، سنة ١٩٦٤م، ص ١٦٨.

(*) هو نصر الدين بن محمد بن محمد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجذري أبو الفتح ضياء الدين، أديب، كاتب، من الوزراء ولد بجزيرة بن عمر سنة ٥٥٨هـ وانتقل إلى الموصل وتوفى سنة ٦٧٣هـ كحالة، معجم المؤلفين، ج ٢، ص ٢٨.

(٣) المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٤٤.

(٤) ديوانه، عني بتحقيقه وشرحه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ١٩٦٣ الجزء الأول، ص ٦٢٣.

وكانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها،
والوجد بفراق ساكنيها، ثم إذا أرادت الخروج إلى معنى آخر قالت^(١):

فدع ذا وسلّ الهمّ عنك بكذا كما قال امرؤ القيس:

فدعْ ذا وسلِّ الهمَّ عنكَ ببازلٍ *** وسوجِ إذا اليومُ المؤجِّجُ هَجْرًا^(٢)

ونرى الشاعر العربي المجيد يحسن الانتقال، فيغادر موضوعه الذي
بدأه إلى آخر دون خلل، يجعل معانيه تتناسب من موضوع لآخر حيث لا
يشعر القارئ بأنه انتقل إلى غرض أو موضوع آخر نسبةً للانسجام والالتئام
التام بين أجزاء القصيدة.

وقد تميز شاعرنا الألبيري بأساليب متعددة في الانتقال من غرض إلى
آخر، فأدهشنا بمقدرته الفائقة على الانتقال خاصةً عندما يدور الحديث عن
الوعظ والزهد والحكمة ففيهما يمازج ويخرج خروجاً يكاد لا يحس به المتتبع
للقصيدة حيث تمتاز المعاني بلطف ومهارة.

ومن أمثلة ذلك خروجه عندما ينتقل اللوم الذاتي للنفس إلى الوعظ كقوله:

لولا رجاءُ العفوِ كنتُ كَنَاقِعِ *** بَرَحَ الغَليْلِ بِرِشْفِ لَمَعِ الآلِ
شَابَ القُدَالُ فَآنَ لي أَن أرَعَوِي *** لو كُنْتُ مُتَّعِظًا بِشَيْبِ قَدَالٍ^{(*) (٣)}

وأيضاً من تخلصاته التي لا يكاد يشعر بها المتتبع له في قصائده عندما

يتطلع إلى التوبة النصوح فيلجأ إلى رجاء الرحمة والمغفرة كقوله:

فيالْهَفي إذا جَمع البرايَا *** على حربي لَديهمِ وافْتِضَاحِي
وَلولا أَنَّنِي أرَجو إِلَهِي *** وَرَحْمَتُهُ يَنْسِتُ مِنَ الفَلاحِ^(٤)

(١) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٥١٣.

(٢) امرؤ القيس، ديوانه، دار صادر، بيروت، ص ٩٤.

(*) القدال: جماع مؤخر الرأس ومعلوم أن الشيب عادةً يبدأ بالفودين من جانبي الرأس فإذا شاب
القدال فقد استشرى الشيب وعظم الواعظ.

(٢) الألبيري، ديوانه، ص ٤٥.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٥.

ثانياً خاتمة القصيدة

تسمى مقطع القصيدة والانتهاء، ودعا النقاد القدامى الشعراء أن يحسنوا الخاتمة يرجع إلى أنها آخر شيء يطرق الأذان فيظل صداها منغلماً بالنفس، والانتهاء "قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكماً لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده بأحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه"^(١).

فالاهتمام بخاتمة القصيدة لا يقل اهتماماً عن مقدمتها وقد أشار الدكتور عبد الله الطيب لذلك بقوله: "أمر المقاطع والنهاية، قريب من أمر المطالع والبدائية، ذلك أنه كما نلتمس روعة المطلع ليقرع الأسماع، نلتمس حسن المقطع مؤذناً بالخواتيم وقد يصوغ الشاعر آخر بيت في القصيدة صياغةً تدل على أنه ختم به قوله كقول امرئ القيس:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ *** كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ *** وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي^(٢)

وعن جودة الخاتمة يقول أبو هلال العسكري: "أو ينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها"، كما فعل ابن الزبيري^(*) في آخر قصيدة يعتذر فيها للنبي ﷺ ويستعطفه:
فخذ الفضيلة عن ذنوب قد خلت *** واقبل تضرع مستضيف تائب

(١) ابن رشيق، العمدة، الجزء الأول، ص ٢٣٩.

(٢) د. عبد الله الطيب، المرشد، الطابعون مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٤، القسم الأول، ص ١٢٨.

(*) أبو سعد عبد الله بن الزبيري من شعراء قريش المعدودين في الجاهلية وأوائل الإسلام وكانت وفاته ١٥ للهجرة، (٦٣٦) فؤاد أفرام البستاني، دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، ج ٣، ص ١٣٢.

فجعل نفسه مستضيفاً، وحق المستضيف أن يضاف، وإذا أضيف من حقه أن يسان، وذكر تضرعه وتوبته مما سلف، وجعل العفو عنه مع هذه الأحوال فضيلة، فجمع في هذا البيت جميع ما يحتاج إليه في طلب العفو^(١).

ومن أبرع الأمثلة في حسن الختام قول أبي الطيب في ختام قصيدة:
فَلَا حَطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرَجاً *** وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقاً^(٢)
وكذلك قول تأبط شرا^(*) في آخر قصيدته:

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدْمٍ *** إِذَا تَذَكَّرْتَ يَوْمًا صَفْوَ أَخْلَاقِي^(٣)
من البديهي أن يهتم الشعراء بخواتيم أعمالهم الأدبية لأنهم بذلوا فيها عسارة إحساسهم وشعورهم فلذلك كان لا بد لهم من أن يتوخوا خاتمة تليق بمنزلتهم عند المتلقين وفي الغالب تكون الحكمة كقول طرفه:
سُنْبُدِي لَكَ الْإِيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلاً^(٤)

وخواتيم قصائد شاعرنا جاءت متوائمة مع أغراضه الشعرية من زهد ووعظ ودعاء.

ومن بعض القصائد التي ختمها بالدعوة إلى الزهد تجده يقول:
كَفَى بِنَيْلِ الْكَفَافِ مِنْهُ غِنَى *** عَنْهُ فَكُنْ فِيهِ غَيْرَ مُحْتَقِلٍ^(٥)

(١) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ٥٠٣.

(٢) ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، ج ٣، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد، ص ٥٦.

(*) ثابت بن حجر بن سفيان، أبو زهير الفهمي، شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية شعره فحل، يقال أنه كان ينظر إلى الطيبي في الفلاه فيجري خلفه فلا يفوته، الزركلي، الأعلام، ج ٢، ص ٩٧.

(٣) الضبي: المفصليات، ص ١٩.

(٤) طرفه بن العبد، ديوانه، تحقيق علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦١م، ص ٣٨.

(٥) الإليبري، ديوانه، ص ١٣٨.

وقوله:

أَسْرٌ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ *** وَزِيَادَتِي فِيهَا هِيَ النُّقْصَانُ^(١)

ومن أمثلة بعض قصائده التي ختمها بالوعظ قوله:

مَنْ لَا يُرَاقِبُ رَبَّهُ وَيَخَافُهُ *** تَبَّتْ يَدَاهُ وَمَالُهُ مِنْ وَالٍ^(٢)

وأيضاً قوله:

وَارْتَقِبِ الْمَوْتَ فَهُوَ حَتْمٌ *** يَخْتَرِمُ الطِّفْلَ وَالْمُسِينَا^(٣)

ومن أمثلة قصائده التي ختمها بالدعاء قوله:

وَأِلَيْهِ أَضْرَعُ فِي إِنْابَةٍ مُخْلِصٍ *** فَهُوَ الَّذِي أَرْجُو لِسَدِّ مَفَاقِرِي^{(*) (٤)}

وقوله:

إِنِّي دَعَوْتُكَ مُلْحِفاً لِتُجِيرَنِي *** مِمَّا أَخَافُ فَلَا تَرُدُّ الْمُلْحِفاً^(٥)

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ١٤١.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٤٣.

(*) مفاقر: جمع على غير قياس لكلمة الفقر.

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ٩٤.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٥٢.

رابعاً وحدة القصيدة

ليس من العيب الفني أن تتعدد عواطف الشاعر وتتنوع، ولكن يجب أن تربط برابطة فنية تصب في وحدة الجو النفسي للقصيدة أو الوحدة العضوية. وبالرغم من أن القدماء عنوا بالبيت الواحد، فقالوا هذا "أمدح بيت" وهذا "أغزل البيت" إلا أنه في كثير من الأحيان أدرك بعضهم أن القصيدة ينبغي أن تكون أبياتها متلاحمة ومترابطة فيقول ابن طباطبا^(*): "أحسن الشعر ما انتظم فيه القول انتظاماً، يتسق به أوله مع آخره على ما ينسقه قائله، فإن قدم بيت على بيت دخله الخلل كما يدخل الرسائل والخطب، إذا نقض تأليفها، فإن الشعر إذا أسس كفصول الرسائل القائمة بأنفسها، وكلمات الحكمة المستقلة بذاتها، والأمثال السائرة والمرسومة كلها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجاً وحسناً، وفصاحة وجزالة ألفاظ، ودقة معاني، وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصفه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً، حتى تخرج القصيدة كأنها مفرغة إفراغاً"^(١).

ويعرف شوقي ضيف^(*) الوحدة العضوية للقصيدة بقوله: "أن تكون بنية حية تامة الخلق، والتكوين، فليست القصيدة ضرباً من المهارة في صياغة أبيات من الشعر، وإنما هي بناء بكل ما تحمله كلمة بناء من معنى، وإنها

(*) ابن طباطبا: أحمد بن محمد بن إبراهيم العلوي، المعروف بابن طباطبا "أبو القاسم"، نقيب

الطالبين بمصر من آثاره: عيار الشعر، كحالة معجم المؤلفين، ج ١، ص ٢٣٩ .

(١) محمد بن أحمد بن طباطبا، عيار الشعر، تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦م، ص ١٣١ .

(*) شوقي ضيف: مؤرخ أدبي مصري، وعضو مجمع اللغة العربية منذ عام ١٩٧٦م، وله مؤلفات

عدة منها، تاريخ الأدب العربي أربع أجزاء، والفن ومذاهبه في الشعر العربي، حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٧٩م، الموسوعة العربية الميسرة، ط ٢ المحدثه، ج ٣، ص ١٤٩١ .

عمل تام كامل ينقسم إلى وحدات تسمى أبياتاً، ولكن كل بيت خاضع لما قبله، لا تحجزه عنه خنادق ولا ممرات، فهو خيط من النسيج يدخل في تكوينه ويساعد على تشكيله"^(١).

أما الحاتمي^(*) فقد شبه القصيدة بالإنسان فقال: "أن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر، وبإينه في صحة التراكيب، غادر الجسم عاهةً تتخون محاسنه، وتخفي معالم جماله، ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقضان، ويقف بهم على محجة الإحسان"^(٢).

مما سبق نلاحظ أن النقاد لم يختلفوا في تعريفهم للوحدة العضوية للقصيدة أو في أهميتها ولكنهم اختلفوا في هل عرفت القصيدة العربية هذه الوحدة أم لا، فمنهم من أنكر معرفة القصيدة العربية لها، ومن هؤلاء النقاد شوقي ضيف الذي قال: "ومن الحق أن القصيدة العربية لم تكن تعرف هذه الوحدة العضوية معرفة واضحة، وربما كان مرجع ذلك تقيد شعرائنا في القرون الوسطى بنموذجها الذي وضعه لها شعراء العصر الجاهلي، حيث نجد القصيدة متحفاً لموضوعات مختلفة، لا يربط بينها أي رابطه قريبة، فالشاعر يبدوها بوصف الأطلال والديار والنسيب، ثم يستطرد إلى وصف الصحراء وحيوانها الأليف والوحشي، حتى إذا فرغ من هذا الوصف، خرج

(١) د. شوقي ضيف، في النقد العربي، دار المعارف مصر، ط ١٩٦٦م، ص ١٥٣.

(*) هو محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي، أديب، ناقد، من أهل بغداد نسبته على جد له اسمه حاتم له الرسالة الحاتمية توفى ٣٨٨هـ، الزركلي، الأعلام، ج ١٦، ص ٨٢.

(٢) ابن رشيق، العمدة، الجزء الأول، ص ١٧١.

إلى الغرض الأساسي لقصيدته من الفخر أو المدح أو الهجاء أو الاعتذار أو الرثاء وربما ختمها بالحكم والأمثال^(١).

وإذا نظرنا في شعر الإلبيري نجده قد التزم في قصائده بالوحدة المعنوية - العضوية - وجاءت قصائده ملتئمة الأجزاء، متصلة المشاعر، تامة البناء، فبالرغم من أن بعض قصائده كانت متعددة المواضيع، إلا إننا نجده يخرج من معنى إلى آخر خروجاً لطيفاً، الأمر الذي مكن خروج قصيدته مؤتلفة الأعضاء متناسقة وخير شاهد على ذلك تائيته التي فاقت المئة بيت، وبها افتتح ديوانه ففيها عالج عدة مواضيع بمهارة واقتدار، بدأ الكلام فيها عن غفلة الإنسان و عما تصنعه آلة الزمن في بني آدم ثم بعد ذلك خرج إلى العلم وتحدث عنه، وإن الإنسان مسئول عن علمه وسفه من يفضل المال على العلم، ودعا إلى الجد والتوبة والخضوع لله تعالى، وحذر من الإخلاق إلى الدنيا، وخرج إلى اعتراف عام بالذنوب، وسرد لمعايب الإنسان المقصر، وختم القصيدة بنصائح عامة في الأخلاق، فبالرغم من تعدد المواضيع في هذه القصيدة إلا أنها خرجت متحدة الأجزاء، ولم تختل وحدتها لأن شاعرنا كان يخرج من معنى إلى آخر خروجاً يكاد لا يحس به القارئ^(٢).

ففيها بدأ الكلام بغفلة الإنسان إذ يقول:

فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى *** مَتَى لَا تَرَعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى^(٣)

ثم بعد ذلك انتقل إلى من دعاه أبا بكر والخطاب عام إلى العلم إذ يقول:

أَبَا بَكْرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا *** إِلَى مَا فِيهِ حَظُّكَ إِنْ عَقَلْنَا

(١) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، الطبعة السابعة، دار المعارف، الناشر دار المعارف ١١٩

كورنيش النيل القاهرة، ج.م.ع. ص ١٥٤.

(٢) شوقي ضيف، في النقد الأدبي، الطبعة السابعة، دار المعارف، الناشر دار المعارف ١١٩

كورنيش النيل القاهرة، ج.م.ع. ص ١٥٤.

(٣) الإلبيري، ديوانه ، ص ٢٤.

إِلَى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَامًا *** مُطَاعًا إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا (١)
أَيْضًا انْتَقَلَ إِلَى الْعِلْمِ وَوَصَفَهُ وَصِفًا جَيِّدًا إِذْ يَقُولُ:

هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَنْبُو *** تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا
وَكَنْزًا لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لِمَا *** خَفِيفَ الْحَمْلِ يُوْجَدُ حَيْثُ كُنْتَا (٢)

وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَخْبِرَنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ مَسْئُولٌ عَنْ عِلْمِهِ كَقَوْلِهِ:

وَإِنْ أُوتِيتَ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ *** وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا
فَلَا تَأْمَنُ سُؤَالَ اللَّهِ عَنْهُ *** بَتَوْبِيخٍ عَلِمْتَ فَهَلْ عَمَلْتَا (٣)

(١) الإلبيري، ديوانه ، ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٥ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٦ .

المبحث الثاني اللغة والأسلوب

اهتم النقاد القدامى بقضية اللفظ والمعنى ونالت جل اهتماماتهم وحازت على الكثير من مؤلفاتهم وأبحاثهم وانقسموا في شأنها إلى ثلاث فرق، فالفرقة الأولى قدمت اللفظ على المعنى، والفرقة الثانية قدمت المعنى على اللفظ، والفرقة الثالثة اهتمت باللفظ والمعنى معاً.

فمن الذين مجّدوا اللفظ واهتموا به دون المعنى الجاحظ^(*)، ففي كتاباته نجده يرفع من شأن اللفظ ويهتم به مهملًا المعنى ففي ذلك يقول: "المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع، وجودة السبك فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسخ وجنس من التصوير"^(١).

ومن الذين اهتموا بالمعنى دون اللفظ ابن قتيبة^(*)، إذ يرى بأن اللفظ يجب أن يكون مسخرًا في خدمة المعنى، ولهذا قسم الشعر إلى أربعة أضرب "ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب حسن لفظه فإذا أنت فتشته لم تجد هنالك فائدة من المعنى، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه وضرب تأخر معناه وتأخر لفظه"^(٢).

(*) هذا لقب أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ البصري، وإليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية وله تصانيف مشهورة في عدة علوم، عز الدين ابن الأثير الجذري، اللباب، ج ١، مكتبة المثنى بغداد، ص ٢٤٨.

(١) الحيوان: تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، ج ٣، ص ١٣٦.

(*) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب كتاب "المعارف" و"أدب الكتاب" كان فاضلاً ثقة سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٣١.

(٢) الشعر والشعراء، حققه وضبط نصه ووضع حواشيه: د. مفيد قميح - الأستاذ محمد أمين الضناوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الجزء الأول، ص ٦٤.

أما ابن رشيق القيرواني فهو من المهتمين باللفظ والمعنى معاً. فإنه لم يفصل أحدهما عن الآخر بل جعل الشعر بلفظه ومعناه كالجسم والروح لا ينفصل بعضها عن بعض يقول: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته؛ فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقضاً للشعر وهجنةً عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعمور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر حظاً"، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتاً لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع"^(١).

هذه هي أبرز الآراء في قضيتي اللفظ والمعنى، وفي تقديري أن ابن رشيق القيرواني وفق في قوله بأن اللفظ والمعنى مرتبطان كالجسم والروح معاً لأنه لا يمكن أن يفصل اللفظ من المعنى ولا المعنى من اللفظ، فهما كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فلذا لا يجوز فصلهما من بعض، ولا يجوز الكلام عن أحدهما دون الآخر.

اشتراط النقاد القدامى في لغة الشعر شروطاً لا يجوز للشاعر أن يتعداها، منها أن يكون الكلام جزلاً سهلاً بعيداً عن العامية، ولا تدخله الكلمات الصعبة، وأكثر النقاد حديثاً عن هذه الشروط القاضي الجرجاني الذي يقول: "فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك، ولا هزلتك بمنزلة جدك، ولا تعريضك مثل تصريحك، بل ترتب

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط الخامسة، ١٩٨١م، ج ١، ص ١٢٤.

كلا مرتبته وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف موافقه، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به" (١).

وأحسب أن شاعرنا ألبس كل حالة لبوسها فهو لم يخرج عن الإطار الذي حدده النقاد للشعر، فهو مثلاً عندما يتحدث عن الزهد يصرف نظره عن الدنيا ويأمر من حوله بذلك إذ يقول:

فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ *** تَسُوؤُكَ حُقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتًا
وَعَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا *** كَفَيْكَ أَوْ كَحَلْمِكَ إِنْ حَلَمْتَ (٢)

فالدنيا في نظره كالظل الذي يستظل بها الإنسان ويتركه ومثل هذا ينبغي أن لا يؤسف عليه.

كذلك عندما ينتقل إلى الوعظ فكلامه يدخل القلوب بدون إستئذان

كقوله:

إِنَّ المَعَاصِي لَا تُقِيمُ بِمَنْزِلٍ *** إِلَّا لِتَجْعَلَ مِنْهُ قَاعاً صَفْصَفاً
وَلَوْ أَنَّي دَاوَيْتُ مَعْطَبَ دَائِهَا *** بِمِرَاهِمِ التَّقْوَى لَوَافَقْتَ الشِّفا
شَتَانَ بَيْنَ مُشَمِّرٍ لِمَعَادِهِ *** أَبْداً وَآخِرَ لَا يَزَالُ مُسَوِّفاً (٣)

وعندما ينتقل إلى الرثاء نجد أن لغته تميل إلى السلوى وطلب العزاء فنجده يقول في رثاء زوجته شعراً يكسوه الحزن والتفجع والحسرة على فراقها.

وَلَوْ أَنَّي أَنْصَفْتُهُ فِي وُدِّهِ *** لَقَضَيْتُ يَوْمَ قَضَى وَلَمْ أَسْتَأْخِرِ
وَشَقَقْتُ فِي خِيبِ الْفُؤَادِ ضَرِيحَهُ *** وَسَقَيْتُهُ رَبَّداً بِمَاءِ مَحَاغِرِي

(١) القاضي علي عبد العزيز الجرجاني، الوساطه بين المتنبّي وخصومه، تحقيق وشرح: محمد أبو

الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت - لبنان، ص ٢٤.

(٢) الإلبيري، ديوانه، ص ٥٢.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٢.

أَجْدُ الْحَلَاوَةَ فِي الْفُؤَادِ بِكَوْنِهِ *** فِيهِ وَأَرْعَاهُ بَعَيْنِ ضَمَائِرِي^(١)
 وعندما يعمد إلى الحكمة نجد ألفاظه ولغته متأثرة بالقرآن الكريم فمثلاً قوله:
 أَنْتَ مِثْلُ السَّجْلِ يُنْشَرُ حِينًا *** ثُمَّ يُطَوَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَيُخْتَمَ^(٢)
 ففي البيت اقتباس واضح من الأسلوب القرآني في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ
 نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ...﴾. (سورة الأنبياء: ١٠٤).

أيضاً قوله:

فَهَلْ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْهَا نَصُوحٍ *** تُطَيِّرُنِي وَتَأْخُذُ لِي سَرَاحِي^(٣)
 أيضاً اقتبس هذا المعنى من الأسلوب القرآني في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا...﴾. (سورة التحريم: ٨).

نجد أن شاعرنا الألبيري يستخدم التكرار في أسلوبه والتكرار عبارة
 عن وسيلة قوية التأثير لاقتراح اللون العاطفي الحزين أو الهائم أو الطرب
 الذي يراد إشاعته في الأسماع^(٤) يقول الألبيري:

وَيْلٌ لَأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ *** مَاذَا يُقَاسُونَ مِنَ النَّارِ
 تَتَقَدُّ مِنْ غَيْظٍ فَتَغْلِي بِهِمْ *** كَمَرَجَلٍ يَغْلِي عَلَى النَّارِ
 وَكُلُّهُمْ مُعْتَرِفٌ نَادِمٌ *** لَوْ تَقَبَّلُ التَّوْبَةَ فِي النَّارِ
 يَهْوِي بِهَا الْأَشْقَى عَلَى رَأْسِهِ *** فَالْوَيْلُ لِلْأَشْقَى مِنَ النَّارِ
 وَلَوْ جِبَالُ الْأَرْضِ تَهْوِي بِهَا *** ذَابَتْ كَذَوْبِ الْقَطْرِ فِي النَّارِ

(١) الألبيري، ديوانه، ص ٩١.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٥٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٥٠.

(٤) د. عبد الله الطيب، انظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج ٢، في الجرس اللفظي،

ط ٤، الخرطوم سنة ١٩٩١م، دار النشر جامعة الخرطوم، ص ١٤٥.

يا أيُّها النَّاسُ خُذُوا حِذْرَكُمْ *** وَحَصِّنُوا الْجَنَّةَ لِلنَّارِ
وَاللَّهِ لَوْ أَعْقِلُ لَمْ تَكْتَحِلْ *** بِالنَّوْمِ عَيْنِي خَيْفَةَ النَّارِ (١)

ذهب ابن رشيق: "أن للتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها،
فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ
أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه" (٢).

كذلك ذكر الدكتور عبد الله الطيب ثلاث أنواع منه:

١ - التكرار الترنمي: وتدخل فيه إعادة الأبيات كاملة على النحو المسمى
بالشيله في العامية، ورد الصدر على العجز،
والتوطئيه للقافيه.

٢ - التكرار الصوري: وأكثر ما يجيء في النسيب والحنين، وهو أما
ملفوظ كتكرار الغضى في شعر مالك بن الربيع،
وملفوظ كتكرار أسماء المواضع في النسيب وقد
تكرر أسلوب تكرار المواضع من المنهج الجاهلي،
حتى صار رمزياً صرفاً في أشعار الصوفيه.

٣ - التكرار التفصيلي: أو الخطابي وهو ملفوظ بأن يكرر الشاعر كلمة
بعينها، أو ملحوظ، بأن يكرر ألفاظاً مترادفة أو
متشابهة، ويدخل تحت هذا التكرار ما أسماه
الجاحظ بالأسلوب الكلامي، كما يدخل أكثر ما
يراد به التهويل (٣).

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ١٠٢.

(٢) ابن رشيق، العمده في محاسن الشعر وادبه ونقده، ج ٢، ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) د. عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ج ٢، في الجرس اللفظي، ط ٤،
الخرطوم ١٩٩١م، دار النشر جامعة الخرطوم، ص ١٩٤.

وظاهرة التكرار كما تقول نازك^(*) الملائكة: "هي تسليط الضوء على المناطق الحساسة من النص"^(١). وهذا يعني أن الهدف منه ليس هدفاً شكلياً فحسب إنما هو هدف معنوي وعاطفي لذلك.

أحسب أن النوع الثالث من أنواع التكرار الذي ذكره د/ عبد الله الطيب بأنه يأتي للتهويل هو النوع الأقرب والأنسب لشاعرنا لأنه صاحب شخصية قلقة ونفس مضطربة ترتعد فرائصها إذا ذكرت النار فالنار تعني له الكثير، فهو الفقيه الزاهد العابد الذي يستصحب معية الله في كل سكناته وحركاته وإنما أتى بهذا النوع من التكرار حتى ينبه من حوله لإعداد العدة لملاقاة الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة.

أيضاً من الأساليب التي تميز بها شاعرنا الاقتباس ومعناه في اللغة كقولك قبس منه النار يقبس قبساً أخذها شعلة فهو قابس، وقبس فلان العلم تعلمه واستفاده^(٢)، وكذلك القبس بفتحيتين شعلة من نار وكذا واقتبس منه ناراً وعلماً أي استفاد^(٣) والقوايس الذين يقبسون الناس الخير يعني يعلمون واتاناً فلان بقبس العلم فأقبسناه^(٤).

(*) شاعرة عراقية ولدت عام ١٩٢٣م، من أسرة عرفت بالثراء والثقافة والفن وهي من أبرز أصحاب الشعر الحر التفعيلي ومن دواوينها "أغنية الإنسان" و"شظايا ورماد" الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الرابع، ص ٢٤٢٦.

(١) جرش للبحوث والدراسات، مجلة علمية نصف سنوية محكمة، تصدر عن جامعة جرش العدد الأول، ١٩٩٦م، ص ٨٥.

(٢) المعلم بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، ناشرون ساحة رياض الصلح، ط جديدة ١٩٨٧م، ص ٧١١.

(٣) الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، غني بترتيبه: محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٥١٨.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ١٦٦.

في الاصطلاح هو تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم،
الحديث النبوي الشريف من غير دلالة على أنه منهما، ويجوز أن يغير في
الأثر المقتبس قليلاً^(١) ومن أمثلة ذلك قول البحرى^(*):

نُعْمَى مِنَ اللَّهِ إِصْطَفَاكَ بِفَضْلِهَا *** وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ^(٢)
ومن أمثلة اقتباس شاعرنا من القرآن قوله:

وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا *** وَتَاجَرْتَ إِلَهَ بِهِ رَبِحْنَا^(٣)
فالمعنى مقتبس من القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ

اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.
(سورة فاطر: ٢٩). وفي الآية الكريمة المعنى مجازي والتجارة ترد للعمل
يترتب عليه خيراً وشرّاً.

كذلك قوله:

وَلَا تَضْحَكْ مَعَ السُّفَهَاءِ لَهَوًا *** فَإِنَّكَ سَوْفَ تَبْكِي إِنْ ضَحِكْنَا^(٤)
المعنى هنا مقتبس من قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. (سورة التوبة: ٨٢).

أيضاً قوله:

تَقَلَّتْ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَسْتَ تَخْشَى *** لَجْهَلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وُزِنْنَا^(٥)

(١) د. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط جديدة
٢٠٠٧م، ص ٢٨٤.

(*) هذا النسب إلى بحتري وهو بطن من طيء، وهو بحتري بن عتود بن عنين ولد بمنبج ومات بها سنة خمس
وثمانين ومائتين. عز الدين بن الأثير الجذري، اللباب في تهذيب الإنسان، مكتبة المثنى بغداد، ج ١، ص
١٢٣.

(٢) البحرى، ديوان البحرى، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت عام ١٩٦٢م،
ج ١، ص ١٠١.

(٣) الألبيري، ديوانه، ص ٢٩.

(٤) ديوان الألبيري، ص ٣١.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٢.

فالحق عز وجل يقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾. (سورة القارعة: ٦-٩).

كذلك قوله:

لَأَعْظَمْتَ النَّدَامَةَ فِيهِ لَهْفًا *** عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا^(١)
من قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴾. (سورة الزمر: ٥٥-٥٦).

أيضاً قوله:

وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ سَلَامًا *** لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسَلِّمُ إِنْ فَعَلْنَا^(٢)
كذلك في التنزيل: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾. (سورة الفرقان: ٦٣).

كذلك اقتبس شاعرنا من السنة المحمدية ومن أمثلة ذلك قوله:

فَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا *** وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ لَقَدْ رَأْسَتَا^(٣)
هذا المعنى ورد في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - : "رأس الحكمة مخافة الله"^(٤).

أيضاً قوله:

وَلَمْ تُخْلَقْ لِتَعْمُرْهَا وَلَكِنْ *** لِتَعْبُرَهَا فَجِدَّ لِمَا خُلِقْتََا^(٥)

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٦.

(٤) العلامة السيد محمد الحسيني الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ط دار

الفكر، ج ٨، ص ٤٤٨.

(٥) الإلبيري، ديوانه، ص ٢٩.

اقتبس هذا المعنى من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -
قال: نام رسول الله ﷺ على الحصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا يا رسول الله
لو اتخذنا لك وطاء فقال: "ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل
تحت شجرة ثم راح وتركها"^(١).
كذلك قوله:

فَخَذِ الْكَفَافَ وَلَا تَكُنْ ذَا فَضْلَةٍ *** فَالْفَضْلُ تُسَالُ عَنْهُ أَيُّ سُؤَالٍ^(٢)
ففي الحديث عن ابن سعيد الخدري قال: بينما نحن في سفر مع النبي
ﷺ إذ جاءه رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً فقال
الرسول ﷺ: "من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن
كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له"^(٣).
وقوله أيضاً:

قَدْ بَلَغْتَ السِّتِينَ وَيَحَاكَ فَاِعْلَمْ *** أَنْ مَا بَعْدَهَا عَلَيْكَ تَلَوِّمٌ^(٤)
ففي وقوف الشاعر عند سن السنتين ملمح من أحاديث نبوية فالرسول
ﷺ يقول في حديث عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: "أعمار أمتي ما بين
السنتين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك"^(٥).

مما سبق نلاحظ أن لغة شاعرنا الألبيري قد اتسمت بالوضوح والسهولة
وأنه تجنب حوشي الألفاظ وغريبها، ونجده قد استعمل ألفاظاً من الموروث

(١) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج ١، ص ٣٩١.

(٢) الألبيري، ديوانه، ص ٤٦.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٣٤.

(٤) الألبيري، ديوانه، ص ٥٦.

(٥) أمم المحدثين الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، دار المعرفة بيروت - لبنان، ط ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، الجزء الثالث، ص ٣٧٠.

الإسلامي فظهرت في أشعاره قوية رصينة زادت من قوة المعنى وهذا يدل على براعته في استغلال التراث الأمر الذي رفع قيمة أشعاره، وهذا الموروث في تقديري يعطي الشعر صفة الخصوبة والإثراء كما يمنحه الرصانة والقوة والجزالة.

المبحث الثالث التجارب النفسية الباعثة على غرض الشعر عند الإلبيري

عندما دخل العرب الأندلس واستراحوا من الغزو، رجعوا إلى طبيعتهم المتأصلة فيهم وهي قرض الشعر، فالشعر هو متعتهم النفسية وغذاؤهم الروحي، ومرآة لحياة العربي الاجتماعية والنفسية يتغني به في حله وترحاله، ومن الأسباب التي دعت إلى نهضة الشعر في الأندلس:

١ - طبيعة بلاد الأندلس وما فيها من المناظر المختلفة، والأمطار المتصلة، والأدواح الظليلة، والأنهار الجارية، والسهول الخصبة، والجبال المكسوة، والمروج الموشاة بألوان الزهر، والقصور الشاهقة، والرياض الغناء.

٢ - كذلك عناية الملوك والأمراء بقرض الشعر حملت الشعب جميعه على الإقبال عليه، حتى أصبح قول الشعر زينة لكل أديب، وجمالاً لكل عالم^(١).

ومن الأسباب النفسية الباعثة على قرض الشعر عند الإلبيري الزهد والوعظ الديني، فنجد معاني شعره قد اتصلت بالحياة والموت، وجاءت زاخرةً غزيرة، فالدنيا مذمومة لا يدوم لها ظل، ولن تلبث أن تمضي وتزول، والموت يلم بكل أحد وهو مشهد يتكرر كل حين ليتعظ به البشر فيأخذون من أنفسهم لأنفسهم، ويستعدوا لساعة الرحيل، وإنما الخلود والبقاء لما ادخر

(١) د. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٣٠٧

المرء في آخرته، جنةً أو ناراً والكل رهين بما كسب، وليس للإنسان إلا ما سعى وإن سعيه سوف يرى.. (١).

وكانت رقعة الحديث في مثل هذا الموضوع فسيحة، فالوعظ والزجر للمشتغلين بالدنيا اللاهيين فيها، والتذكير والنصح للراشدين، وذلك بزم الدنيا، وتعظيم أمر الموت الذي لا يفلت أحداً، والترغيب في الجنة التي أعدت للمتقين، والتخويف من النار، التي توقد بالناس والحجارة، وتعال الظالمين المسرفين (٢).

وفي هذا المنحى يقول الإلبيري:

وتائبٌ من ذنبه مُشفقٌ *** يبكي بكاءً الواكفاتِ الهُتُنُ
تخاله بين يدي ربّه *** في ظلم الليل كمثل الغصن
كأنما الأرضُ له أيكّةٌ *** وهو بها قمريةٌ في فنن
وأدرك الفأيت من قبل أن *** يفجأك الموت فلا تنظرن
أقبح من ترمقه مقالةٌ *** مبصرةً شيخ خايغ الرسن
تقتاده الدهر دواعي الهوى *** إلى الصبا مثل إقتياد البذن
يأملُ أمال فتى يافعٍ *** كأنه ليس بشيخ يفن (٣)

فصورة الشيخ المتصابي منظر قبيح لا يطيقه الإلبيري وكثيراً ما

يستهجنه ويستقبحه في شعره.

أيضاً من الأسباب النفسية الباعثة على قرض الشعر عند شاعرنا الدعوة الإسلامية، وهي غرض أدبي يعرض فيه الشاعر سماحة الإسلام

(١) د. مجاهد مصطفى بهجت، انظر التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول، الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف والشئون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ط الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص ٥١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٥١٤.

(٣) الإلبيري، ديوانه، ص ١٧.

ويسره وبساطته، وأنه دين العقل والقلب معاً، ومما يدل على سماحة الإسلام في تشريعاته في العبادات والمعاملات كالتخفيف والرخص، ورفع الحرج والضيق، والنهي عن الضرر وإياحة الضرورات^(١).

وغير ذلك مما يدل على يسر الإسلام، حتى تحول الغزاة الجابرة من المغول والتتار إلى دعاة مصلحين وحكام مسلمين، وعلى الأدب الإسلامي الحديث أن يتخذ من هذا الغرض مجالاً واسعاً لشعر الدعوة إلى العقيدة الإسلامية ونبذ غيرها من المذاهب والاتجاهات المدمرة الهدامة للإنسان^(٢).
يقول الإلبيري:

وَكَمْ ذِيبٍ نُجَاوِرُهُ وَلَكِنْ *** رَأَيْتُ الذِّئْبَ أَسْلَمَ مِنْ فَقِيهِ
وَأَيَّاسَنِي مِنَ الْأَيَّامِ أَنِّي *** رَأَيْتُ الْوَجْهَ يَزْهَدُ فِي الْوَجِيهِ
فَأَثَرْتُ الْبِعَادَ عَلَى التَّدَانِي *** لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مَنْ أَصْطَفِيهِ^(٣)

يقول الشاعر الذئب أسلم من فقيه من طلاب الدنيا، المتاجرين بعلمهم، وقد كانت الأندلس - آنذاك - مؤوفة بنفر من الفقهاء والأدباء ومشتهي السلطة الساكتين عن هفوات الحكام وأخطائهم المنجرفين مع محبة الدنيا المستغرقين في ملذاتها ومثل هؤلاء لا يسلمون من سياط ورماح الألبيري التي يوجهها إليهم، فالفقيه إذا جرى وراء الدنيا وملذاتها لا شك أنه يهمل الدور المناط به في توجيه المجتمع وتقويمه.

أيضاً افتتن الشاعر بالصوفية، وللصوفية أدب غزير تخالف خصائصه خصائص الآداب الأخرى، ومن خصائصه:

(١) د. علي علي صبح ود. عبد العزيز شرف ود. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الإسلامي

المفهوم والقضية، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٦٠.

(٢) د. علي علي صبح ود. عبد العزيز شرف ود. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الإسلامي

المفهوم والقضية، ص ٦٠.

(٣) الإلبيري، ديوانه، ص ٦٤.

السمو الروحي، والمعاني النفسية العميقة، والخضوع التام لإرادة الله القوية، وبعد الخيال، وغموض المعاني الرمزية والشعر الصوفي نوع من الشعر يكون إلهياً محضاً، تستخدم فيه المادة الشعرية للرمز عن الحقائق، وهو شعر مؤول، لا يقصد ظاهرة، وإنما له محامل يحمل عليها وتليق به^(١).
يروى أن الإمام العارف محي الدين بن عربي^(*) قال:

يا من يراني ولا أراه *** كم ذا أراه ولا يراني
فلما سمع بعض إخوانه هذا البيت سأله، كيف تقول: إنه لا يراك وأنت تعلم أنه يراك؟ فقال ابن عربي مرتجلاً:

يا من يراني مجرمًا *** ولا أراه آخراً
كم ذا أراه منعمًا *** ولا يراني لا ئذا^(٢)

فمن هذا الخبر يتضح أن الشعر الصوفي أو الإلهي لا يفهم على سبيل التأويل، فالإلبيري يستصحب معه معية الله سبحانه وتعالى في كل حركاته لذلك دعا دعوة أحسبها صادقة لصالح المجتمع وقتذاك.

يقول الإلبيري:

لا قُوَّةَ لِي يَا رَبِّي فَأَنْتَ صِرُّ *** وَلَا بَرَاءَةَ مِنِّي فَاعْتَذِرْ
فَإِن تَعَاوَبَ فَأَهْلٌ لِلْعِقَابِ وَإِن *** تَغْفِرْ فَعَفْوُكَ مَأْمُولٌ وَمُنْتَظَرٌ
إِنَّ الْعَظِيمَ إِذَا لَمْ يَعْفُ مُقْتَدِرًا *** عَنِ الْعَظِيمِ فَمَنْ يَعْفُو وَيَقْتَدِرُ^(٣)

الأبيات فيها استسلام العبد المؤمن لله تعالى وتسليم لحكمه وقضائه، ودعاء بالعفو والمغفرة.

(١) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص ٢٢٦.

(*) محي الدين (ابن عربي) هو محمد بن علي (٦٣٨١هـ) الزركلي، الأعلام، ج٧، ص ١٨٩.

(٢) د. عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص ٢٢٦.

(٣) الإلبيري، ديوانه، ص ١٣٦.

ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن أهل الأندلس أصحاب علم وثقافة
بدليل قول صاحب نفح الطيب إذ يقول: "ولو لم يكن للأندلسيين غير كتاب
"شذور الذهب" لكفاهم دليلاً على البلاغة ومؤلفه هو علي بن موسى بن علي
بن محمد بن خلف أبو الحسن الأنصاري، الجياني، نزيل فأس، وولي
خطابتها".

ولم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانٍ وفصاحة ألفاظ،
عذوبة تراكيب، حتى قيل فيه: أن لم يعلمك صناعة الذهب علمك الأدب. وفي
عبارة بعضهم إن فانتك ذهبه لم يفتك أدبه^(١).

كذلك الخصومة بين المشاركة وأهل الأندلس ولعل العبارة التي أطلقها
الصاحب بن عباد نقداً لكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه "هذه بضاعتنا ردت
إلينا" تمثل الموقف الأدبي للمشاركة من جهود الأندلسيين الأدبية، لأن عبارة
الصاحب تكشف عن عمق الرغبة في التعرف إلى أدب الأندلسيين الذي جاء
العقد مبدداً لها في عدم العناية بأدب الأندلس عناية كاملة، فلعل مثل هذا
باعث قوى ومؤثر في قرص الشعر لأبي إسحاق ورفاقه من الشعراء^(٢).

ويضاف إلى ما ذكر إدراك ملوك الطوائف بأن أمرهم لن يدوم طويلاً،
فمالوا إلى اللهو والملذات والترف والمجون وبناء القصور واقتناء الجواري،
مما أوجد مجالات عديدة لقول الشعر الذي يصف هذه المظاهر الاجتماعية أو
يتأثر بها. وكذلك كانت الأحداث السياسية الخطيرة التي شهدتها الأندلس في
هذا العصر من تعاضم خطر قشتالة، واستغراق ملوك الطوائف في نزاعاتهم
وضعفهم، ثم دفعهم الجزية لملك قشتالة ألفونسو السادس.

(١) الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ص ١٤١.

(٢) د. مصطفى عليان عبد الرحيم، تيارات النقد الأدبي في الأندلس، الطبعة الأولى ١٤٠٤م -

ثم سقوط عدد من المدن الأندلسية عاملاً أساسياً في دفع الشعراء نحو موضوع النقد السياسي ورثاء المدن والحث على الوحدة وغير ذلك. ويظهر أن سوء حال المسلمين في عصر ملوك الطوائف قد أوحى لغير شاعر أندلسي بالحديث عن ظهور الأعور الدجال، إذ اعتقدوا أن ضعف المسلمين إلى تلك الدرجة من علامات قيام الساعة، ومن هؤلاء أبو الحسن^(١) ابن نجد حيث يقول:

تحكمت اليهود على الفروج *** وتاهت بالبغال وبالسروج
وقامت دولة الأنذال فينا *** وصار الحكم فينا للعلوج
فقل للأعور الدجال هذا *** زمانك إن عزمت على الخروج
ولعل الأزمة الفاصلة التي تعرض لها الإسلام الأسباني، وأدت إلى انهيار الخلافة الأموية في قرطبة، وتناثرها دويلات صغيرة، وجرينا على تسميتها (دول الطوائف) لم تترك من الأثر البالغ في أي جانب من حياة أسبانيا العربية، كما تركته في كورة غرناطة.

ولكي تبلغ الأمور قمة السوء، توجت بعامل ثالث أشد تعقيداً، يتمثل في تغيير العاصمة، فمنذ عام ٤٠١هـ تحولت مدينة إلبيره إلى أطلال. على حين كانت العاصمة الجديدة لغرناطة تشق طريقها إلى الوجود شيئاً فشيئاً، حول قلعة الحمراء، والتي عرفت بهذا الاسم لاحمرار مبانيها، وقدر للعاصمة الجديدة أن تحظى بمستقبل لامع، بعد أن أصبحت الملاذ الأخير للحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.

ولم يحدث أبداً أن أياً من كبار الشعراء خارجها، فكر أن يرتحل إليها، ليمدح عبثاً أمراءها البربر، أو وزراءها اليهود، أما الشعراء المقيمون، فكان عليهم إما أن يخضعوا، كما صنع المنفلت، أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة،

(١) د. صلاح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م، ص ٣٢.

وينظموا الشعر ويتعرضوا لمقت المؤرخين المتأخرين وسخطهم أو أن يهاجروا، كما فعل السميسر، خلف بن فرج الألبيري فقد رحل بعد أن هجا حكامها هجاءً قاسياً:

رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ *** أبا البريةِ إنَّ الناسَ قد حكَمُوا
أنَّ البرابر نسل منك قال إذا *** حواء طالقاً إن صح ما زعموا^(١)

الشاعر الوحيد ذو الأهمية في غرناطة بني زيري، لم يكن بالطبيعة شاعراً يتغنى بالحب، أو بالخمير، أو بالتترف المصفى، كما عند بقيه ملوك الطوائف بل ولا شاعر بلاط مداحاً، وإنما كان صدى صادقاً لواقع المدينة، كان شاعر المعارضة والزهد والسياسة ومناهضة نفوذ اليهود، ذلك الشاعر هو أبو إسحاق الألبيري^(٢).

(١) إميليو غرسيه غومث، مع شعراء الأندلس والمنتبي نقله إلى العربية: د. الطاهر أحمد مكّي، دار الفكر العربي ٩٤ شارع عباس العقاد، مدينة نصر القاهرة، الطبعة السابعة، ٢٠٠٤م، ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة، ص ٨٥.

المبحث الرابع الخيال والصورة الشعرية

روى ابن رشيق أن بعض النقاد مثلوا المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة، فإن لم تقابل الصورة الحسنة بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها، وتضاءلت في عين مبصرها^(١)، ويرى الجرجاني أن الصورة الشعرية: "تمثيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا"^(٢).

ولقد اهتم القدماء بأمر التصوير في شعرنا العربي وأول قول نقدي يعتد به في هذا المجال قول الجاحظ: "إنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"^(٣).

وترد الصورة في كلام العرب على ظاهرها أو على معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، والمصور من أسماء الله تعالى وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها وأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها^(٤)، والصورة بهذا المعنى يفصح عنها بواسطة اللفظ وما فيه من بيان وإيضاح وذلك عن طريق اشتمالها على الحلي البيانية التي تجعلها صورة حسنة ذات تأثير على المتلقي، وهذا التأثير يتأتى بعدم فصل الصورة عن إحساس الشاعر، وعن ذلك قال الدكتور محمد غنيمي

(١) ابن رشيق، العمدة، ج ١، ص ١٢٧.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق: محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة مصر، ١٩٦١م، ص ٣٣٠.

(٣) الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ج ٣، ط ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، ص ١٣٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ط ٢٠٠٠م، دار صادر، ص ٣٠٣.

هلال(*) : "لا يصح بحال من الأحوال الوقوف عند التشابه الحسي بين الأشياء من مرئيات أو مسموعات أو غيرها دون ربط التشابه بالشعور المسيطر على الشاعر في نقل تجربته"^(١).

ومجال الصورة الشعرية فسيح فالشاعر الجيد يستطيع أن يبدع صوراً لا حصر لها بخياله الإبداعي الخلاق، وأدواته في ذلك الإبداع ما تقوم عليه لغة الشعر من تشبيه، واستعارة وكناية ومجاز وغيرها. وبها استطاع شاعرنا نقل تجاربه في صور عكست أفكاره ومشاعره الوجدانية وتجاربه النفيسة.

أولاً: التشبيه:

والتشبيه في اللغة يقال هذا شبه أي شبيهه والمشتبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات^(٢)، وعند البلاغيين هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب^(٣). ومن أمثلة التشبيه عند شاعرنا قوله:

ترزلت بهم المنابر بعدما *** ثبتت وكانوا فوقها كجبال^(٤)
فشبه الممدوحين بالجبال ووجه الشبه بينهما الثبات في كل وقوله:

(*) محمد غنيمي هلال أتم دراساته بدار العلوم ثم ذهب في بعثته إلى فرنسا لدراسة الأدب المقارن وفي عام ١٩٥٢م عين مدرساً بكلية دار العلوم ثم أصبح أستاذاً للنقد بكلية اللغة العربية بالأزهرى توفى عام ١٩٦٨م، الدليل البيبلوجرافي للقيم الثقافية العربية المعاصرة، إعداد نخبة مختارة من الأساتذة، ج١، ص ٣٦٢.

(١) النقد الأدبي الحديث، دار الشعب القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٠٥.

(٢) الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، غني بترتيبه: محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ٣٢٨.

(٣) أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، كتاب الصناعتين، حققه وضبط نصه: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط ١٩٨١م، ص ٢٦١.

(٤) الإلبيري، ديوانه، ص ٤٧.

كَانَتْ وَجُوهُهُمْ كَأَقْمَارِ الدُّجَا *** فَغَدَّتْ مُسَجَّاةً بِثُوبٍ دُجَاكِ^(١)
وهنا أيضاً شبه وجوه الممدوحين بأقمار الدجى، واستعمل أداة التشبيه الكاف ووجه الشبه بينهما الإضاءة والإشراق.

وكذلك قوله:

فَكَأَنَّهُمْ مِثْلُ الذُّبَابِ تَسَاقَطَتْ *** فِي الأَرِي حَتَّى اسْتَوْصَلُوا بِهَلَاكِ^(٢)
شبه المهجوين بالذباب في تساقطهم على الأرى وهو العسل ووجه الشبه الدناءة والحقارة في كل.

ثانياً: الاستعارة:

والاستعارة في اللغة استعار الشيء منه: طلب أن يعطيه أياه عاريةً. ويقال استعاره أياه^(٣)، وعند البلاغيين هي نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض^(٤).

وهي تنقسم إلى قسمين:

(أ) استعارة تصريحية: وهي ما حذف منها المشبه وذكر المشبه به^(٥).
كقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. (سورة الفاتحة: ٦). فقد شبه الدين بالسرائط بجامع التوصيل إلى الهدف في كل ومن أمثلة ذلك عند شاعرنا قوله:

وَيَجْلُو مَا دَجَا مِنْ لَيْلٍ جَهْلِي *** بِنُورِ هُدَى كَمُنْبَلِجِ الصَّبَاحِ^(٦)

(١) الإليبري، ديوانه ، ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٤١ .

(٣) المعجم الوسيط، قام بإخراجه، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، ص ٣٣٦ .

(٤) العسكري، الصناعتين، ص ٢٩٥ .

(٥) د. فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، الطبعة العاشرة ٢٠٠٥م، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ص ١٧٩ .

(٦) المصدر السابق، ص ٤٨ .

شبه الجهل بالليل بجامع الظلام في كل على سبيل الاستعارة التصريحية.
(ب) استعارة مكنية: وهي التي حذف منها المشبه به وذكر المشبه^(١).

كقوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...﴾ (سورة

الإسراء: ٢٤). ومن أمثلتها عند شاعرنا قوله:

إِنِّي أَرَقْتُ لَهْنًا لَا لِحَمَائِمٍ *** تَبْكِي الْهَدِيلَ عَلَى غُصُونِ أَرَاكٍ^(٢)
فشبه الإنسان بالحمام ورمز بشيء من لوازمه وهو البكاء على سبيل
الاستعارة المكنية.

ثالثاً: الكناية: الكناية في اللغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكني عن
الأمر بغيره يكنى كناية، يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه^(٣). عند
البلاغيين هي أن تريد إثبات معنى فنتترك اللفظ الموضوع له وتأتي بتاليه
وجوداً لتومي به إليه وتجعله شاهداً ودليلاً عليه^(٤)، وتنقسم الكناية إلى ثلاثة
أقسام:

(أ) كناية عن صفة:

وهي أن تذكر الموصوف وتنسب له صفة، ولكنك لا تريد هذه الصفة
وإنما تريد لازمها ومن هذا قولهم "فلان جبان الكلب مهزول الفصيل"
كناية عن الكرم^(٥).

وكقول الآخر:

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا *** يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمُ

(١) د. فضل حسن البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٨٠.

(٢) الإلبيري، ديوانه، ص ٤٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٢٤.

(٤) ابن الزمكاني، التبيان في علم البيان، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، مطبعة

العاني بغداد، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م، ص ٣٧.

(٥) د. فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، ط العاشرة ٢٠٠٥م، دار الفرقان

للنشر والتوزيع، ص ٢٤٧.

ومن أمثلة ذلك عند شاعرنا قوله:

وَإِنْ أُوتِيَتْ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ *** وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا^(١)

صوّر بأسلوب الكناية الإنسان الذي له إمام بالأمر بأنه طويل باع وهي كناية عن صفة.

(ب) كناية عن موصوف:

وهي أن نذكر الصفة والنسبة ولا نذكر الموصوف المكنى عنه، والغرض من ذكرها أن نتوصل بها إلى الموصوف المحذوف المكنى عنه كقول شوقي^(*):

وَلِي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌّ وَلَحْمٌ *** هُمَا الوَاهِي الَّذِي تَكَلَّ الشَّبَابَا^(٢)
كُنِيَ عَنِ القَلْبِ بَالِدَمٍ وَاللَّحْمِ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنِ مَوْصُوفٍ.

وعند شاعرنا كقوله:

وَإِنْ فَرَّقْتَهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا *** إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتَا^(٣)
صوّر بأسلوب الكناية الجنة بأنها دار السلام وهي كناية عن موصوف.

(ج) كناية عن نسبة:

النسبة هي إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه، فالنسبة في قولنا "المؤمنون أجراء" هي إثبات العزة للمؤمنين وفي قولنا "المؤمن ليس جباناً" النسبة نفي الجبن عن المؤمن^(٤).

(١) الألبيري ديوانه، ص ٢٦.

(*) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي يلقب بأمرير الشعراء أشهر شعراء العصر الأخير مولده ووفاته بالقاهرة ومن آثاره الشوقيات أربعة أجزاء ودول العرب ومصرع كيلوباتره، الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ١٣٦.

(٢) أحمد شوقي، الشوقيات، ج ١، ١٩٧٠م، المكتبة التجارية الكبرى، ص ٦٨.

(٣) الألبيري ديوانه، ص ٣٥.

(٤) ابن الزمكاني، التبيين في علم البيان، ص ٢٤٩.

ومثالها عند شاعرنا قوله:

وَصَافِي ثَوْبِكَ الْإِحْسَانُ لَا أَنْ *** تُرَى ثَوْبَ الْإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَا (١)
لم ينسب الإحسان إلى ممدوحه مباشرة ولكن نسبه إلى شيء غريب
منه وهو الثوب.

فالواقع أن الصورة الشعرية قد تنقل إلينا إنفعال الشاعر "تجربته
الشعورية" ولكنها كذلك تنقل إلينا الفكرة (٢)، ومن أهم المقومات التي تنشأ عليها
الصورة عنصر الخيال فهي محصلة الفعل التخيلي وأداته ووسيلته (٣)، والخيال
في اللغة: هو كل شيء تراه كالظل، ولذلك خيال الإنسان في المرأة، وخياله
في المنام صورة تماثله، ربما مر بك الشيء شبه الظل فهو خيال (٤).

وفي ، الاصطلاح هو "القوة التي بواسطتها تستطيع صور معينة أو
أحاسيس في "القصيدة" فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصرح، وهذه
القوة التي هي أسمى الملكات الإنسانية تتجزأ أشكالاً مختلفة، منها العاطفي
العنيف ومنها الهادي الساكن، ففي صور نشاطها الهادئة التي تبعث على
المتعة فحسب نجدها تخلق وحدة من الأشياء الكثيرة بينما تفتقد هذه الوحدة في
وصف الرجل العادي الذي لا تتوفر لديه ملكة الخيال لهذه الأشياء، إذ نجده
يصفها وصفاً بطيئاً الشيء تلو الشيء بأسلوب يخلو من العاطفة (٥)، إن ارتباط
العاطفة بالصورة داخل العمل الفني هو ارتباط حي ناشيء عن معاناة الفنان
لموقف نفسي معين، وإنما العاطفة في العمل الفني هي تجسيد للحظة شعورية
معينة يسيطر عليها الفنان ويخضعها للصورة كما يخضع الصورة لها بحيث

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٢٦.

(٢) د. عز الدين إسماعيل، انظر الأدب وفنونه دراسة ونقد، ط٣، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م، ص ١٣٢.

(٣) د. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة
والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص ٩٩.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ١٩٣.

(٥) د. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص ١٠٠.

يصبح الشعور هو الشعور المصور والصورة هي الصورة المحسوس بها من أجل هذا قال كروتشه^(*): "إن الفن هو تركيب فني نستطيع أن نقول بصدده أن العاطفة بدون صورة عمياء، والصورة بدون عاطفة فارغة"^(١).

ويقول أرسطو^(*): "الشيء قد يكون محسوساً عندما يشاهد، ثم يكون متخيلاً عند غيبته بتمثل صورته في الباطن... وأما الخيال الباطن فيخيله مع عوارض الأين والتمى والوضع والكيف"^(٢). وأساس الفن هو القدرة على تكوين الصورة الذهنية، فتمت تصور الفنان بذهنه صورة تعبر عن موضوعه، فقد تمت له الفاعلية الفنية^(٣).

وأحسب أن الصورة الذهنية قد اكتملت لدى شاعرنا عند إحساسه بفراق زوجته مدعمةً بخيال خصب فلذلك جاءت قصيدته فيها تتدفق عاطفة وحنيناً ووفاءً لتلك الزوجة التي تركت فراغاً لا يملئ عند شاعرنا فقال:

عُجَّ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْيَبَابِ الْغَامِرِ *** وَارْبَعٌ عَلَى قَبْرِ تَضَمَّنَ نَاطِرِي
وَإَقْرَ السَّلَامَ عَلَيْهِ مِنْ ذِي لَوْعَةٍ *** صَدَعَتْهُ صَدَاعاً مَا لَهُ مِنْ جَابِرِ

(*) كروتشه بنديتو: فيلسوف ومؤرخ وناقد إيطالي، نزع إلى مثاليه هيغل، عارض الفاشية واعتري الحياة حتى تزعم حزب الأحرار، وله كتب "فلسفة الروح" و"علم الجمال" و"المنطق" الموسوعة العربية الميسرة، ج ١٣، الطبعة الثانية المحدثه، دار الجيل، بيروت - القاهرة - تونس، الجمعية المصرية لنشر الثقافة العالمية، ص ١٩٥١.

(١) د. محمد زكي العشاوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص ١٠١.

(*) أرسطو بن نيقوماخوس ولد ببلدة سطاغيرا شمال اليونان وتوفى أبوه وهو حدث تلميذ أفلاطون وكان يلقبه بالعقل لشدة ذكائه و "القراء" لسعة إطلاعه، د. عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف للطباعة، تونس، ص ٣٥.

(٢) د. عاطف جودة نصر، الخيال مفهومه ووظائفه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ص ١٣.

(٣) انظر الموسوعة العربية الميسرة، ج ٣، ط ٢/ دار الجيل بيروت - القاهرة - تونس، الجمعية المصرية لنشر الثقافة العالمية، ص ١٩٥١.

فَعَسَاهُ يَسْمَحُ لِي بِوَصْلِ فِي الْكُرَى *** مُتَعَاهِدًا لِي بِالْخِيَالِ الزَّائِرِ
إِنِّي لِأَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ مُغَيَّبٌ *** فِي لَحْدِهِ فَكَأَنَّهُ كَالْحَاضِرِ
قَطَعَ الزَّمَانَ مَعِيَ بِأَكْرَمِ عَشْرَةٍ *** لَهْفِي عَلَيْهِ مِنْ أَبْرٍ مُعَاشِرِ
وَلَوْ أَنَّني أَنْصَفْتُهُ فِي وُدِّهِ *** لَقَضَيْتُ يَوْمَ قَضَى وَلَمْ أَسْتَأْخِرِ (١)

ولا نريد أن نستقصي كل صور أبي إسحاق في ديوانه وإنما نريد أن
نضرب مثال لعله قد يكون أدى الغرض المنشود، ورغم ذلك من يتصفح
ديوان أبي إسحاق الألبيري يلحظ أن حظه من الخيال كان ضعيفاً، وهذا
يرجع في تقديري إلى طبيعته فهو عالم وفقه والعلماء يأبون ذلك الخيال
الجامح الذي يخرج بهم عن عالم الحق والحقيقة^(٢)، فالرجل مشغول بالتغيرات
التي كانت تحدث على خارطة المجتمع المسلم آنذاك ، وإرساء قواعده، من
ضعف المسلمين واستبداد اليهود، ووهن الإنسان المسلم، ولم يتفرغ ليخلق في
عالم الخيال.

(١) الإلبيري، ديوانه، ص ٩٠.

(٢) انظر أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، فتحي عبد الفتاح، ط القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٤١،
بتصرف.

المبحث الخامس موسيقى القصيدة الشعرية

اتخذت الإنسانية قديماً الموسيقى وسيلة تعبر بها عن عالمها الوجداني، والإنسان بفطرته ميال إلى الإحساس بالجمال وكل شيء يؤثر على وجدانه بالراحة والسعادة، ويمكننا أن نوثق كلمة "موسيقى" من القرآن الكريم وإن لم ترد كلمة "موسيقى" وإنما وردت كلمة سامدون وهي تعني اللهو والغناء في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴾. (سورة النجم: ٦١) . وقال بعضهم لجاريتته: اسمدي لنا: أي غني لنا^(١).

ولعلماء الفلسفة والفن والموسيقى تعريف لكلمة "موسيقى" وماذا تعني عندهم "أما علم الموسيقى فإنه يشتمل بالجملة على تعريف أصناف الألحان وعلى ما منه تؤلف، وعلى ماله ألفت وكيف تؤلف وبأي أحوال يجب أن تكون حتى يصير فعلها أنفذ وأبلغ"^(٢).

الموسيقى الخارجية:

الأوزان:

الشعر فن من الفنون الجميلة مثل التصوير والموسيقى والنحت، وهو في أغلب أحواله يخاطب العاطفة ويستثير المشاعر والوجدان، وهو جميل في تخير ألفاظه، جميل في تركيب كلماته، جميل في توالي مقاطعه، وانسجامها

(١) الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ج ٤، ص ٤١٩.

(٢) الفارابي، إحصاء العلوم، حققه وقدم له: د. عثمان أمين، الطبعة الثانية سنة ١٩٤٩م، الناشر دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، ص ٨٦.

بحيث تتردد ويتكرر بعضها فتسمعه الأذان موسيقى ونغماً منتظماً، فالشعر صورة جميلة من صور الكلام^(١).

وقد ارتبط الشعر قديماً بالغناء لأنهما في حقيقة الأمر يصدران عن العاطفة فنجد أيضاً في الغناء موسيقى النغمات والألحان، وفي الشعر موسيقى الألفاظ والأوزان فالشعر العربي منذ العصر الجاهلي تسيطر عليه الموسيقى وأبياته مقسمة إلى مقاطع متوالية متناسقة، وقوافيه مستقرة في مكانها محوطة بسياج من الشروط تركها لنا العروضيون، جوهرها أن تكون متحدة في القصيدة كلها من حيث الحركات والسكنات^(٢).

والشعر العربي يختلف عن غيره حيث توفرت له شروط الوزن والقافية وتقسيمات البحور الشعرية والأعاريض، وفن الشعر العربي (يناسب هذه اللغة الشاعرة التي انتظمت مفرداتها وتراكيبها ومخارج حروفها على الأوزان والحركات وفصاحة النطق بالألفاظ، فأصبح لها من الشعر الموزون فن مستقل بإقاعة عن سائر الفنون التي يستند إليها الشعر في كثير من اللغات)^(٣).

والنظم العربي يقوم على عمادين هما: البحر والقافية ويتكون البحر عادة من عدد من المقاطع الطويلة والقصيرة منظمة بطريقة خاصة، والقافية هي الحرف الذي يجيء في آخر البيت، وبحور الشعر العربي محصورة

(١) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، الطبعة السادسة ١٩٨٨م، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة، ص ٧.

(٢) د. سعد إسماعيل شلبي، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، القاهرة مكتبة غريب، ١٩٧٧م، ص ١٢٢.

(٣) عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، قضايا الفن والتعبير في اللغة العربية، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م، ص ٣٠.

العدد، ولا سبب لهذا الحصر إلا اتفاق العلماء وتواضعهم، فقد اخترع الخليل^(*) بن أحمد علم العروض وبناءه على خمس دوائر هي:

(١) (فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ) × ٢

(٢) (مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ) × ٢

(٣) (مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ) × ٢

(٤) (مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مَفْعُولَاتُ) × ٢

(٥) (فُعُولُنْ فُعُولُنْ فُعُولُنْ فُعُولُنْ) × ٢^(١).

واستخرج من هذه الدوائر خمسة عشر وزناً أسماها بحوراً ثم أدخل كل الأوزان المستعملة - كما زعم - في نطاق بحوره الخمسة عشر. وقد استدرك عليه الأخفش وزناً سادساً عشر استخرجه من الدائرة الخامسة هكذا: لن فعولن فعو إلخ، وتساوي: فاعلن إلخ. ولم يزد العلماء بعد الأخفش^(٢).

وشاعرنا الألبيري التزم بهذه الدوائر العروضية ولم يخرج عن هذه الدوائر فقد نظم شعره نظماً عروضياً على بحور الخليل. ففي الكامل نظم عشرة قصائد وهو كما قال عنه الدكتور عبد الله الطيب من الأبحر الذلل ونظمهم فيه كثير وطوالهم منه لا تكاد تحصى^(٣). وأيضاً نظم في الوافر سِتَّ قصائد، وما يتميز به هذا البحر أنه فيه نغمة قوية تسلبه مزية الإطراب الذي في المتقارب ولكنها تعوضه تعويضاً عظيماً عن

(*) الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن الفراهيدي، والفراهيد صغار الغنم، نحوي، لغوي، عروضي، استنبط من علم العروض وعلمه ما لم يستخرجه أحد. الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، أنباه الرواة على أنباه النحاة، ج ١، ص ٣٤٣.

(١) د. عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الطابعون مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط الرابعة، ١٩٩١م، ج ١، ص ١٥.

(٢) د. عبد الله الطيب، المرشد، ج ١، ص ١٥.

(٣) د. عبد الله الطيب، المرشد، مطبعة ومكتبة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ، ج ١، ص ١٠٥.

هذا النقص، بأن ترشحه للأداء العاطفي سواء إن كان ذلك في الغضب الثائر والحماسة أم في الرقة الغزلية والحنين^(١).

كذلك في السريع له سبت قصائد وما يمتاز به هذا البحر عن أقرانه أن الناظم فيه يحتاج إلى البطء والتأني، وقد يوقعه هذا في التكلف والتعثر إن لم يلائم بين أغراضه ونغماته^(٢).

وفي الطويل له خمس قصائد وهذا البحر يعتبر ميدان للوصف والملحمة والتأمل والبلاغة الحرة، من غير ما اعتماد على دندنة النغم، وجلبة التفاعيل^(٣).

وله في المتقارب ثلاثة قصائد وهو بحر تغن من النوع المناسب المتفق وأنه من أيسر البحور لمن يريد النظم، وأعصاها لمن يحاول الإحسان والإتقان لما يتطلبه من سلامة الطبع وامتداد النفس^(٤).

أما الخفيف فنظم فيه قصيدتان وهذا البحر اختلفت أغراضه بين طرفي الغزل والحماسة، والمديح والهجاء، والرثاء والفخر، ومع هذا فقد كان ذا طابع واحد في جميع هذا، من وضوح النغم واعتداله، بحيث لا يبلغ حد اللين ولا حد الضعف ولكن يأخذ من كل بنصيب^(٥).

القوافي: القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى

شعراً حتى يكون له وزن وقافية، هذا (رأي) من رأي أن الشعر ما جاوز بيتاً واتفقت أوزانه وقوافيه^(٦).

(١) د. عبد الله الطيب، المرشد، مطبعة جامعة الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ط٤، ١٩٩١م، ص ٣٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٠٨.

(٤) د. عبد الله الطيب، المرشد، مكتبة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده، ط الأولى ١٣٧٤هـ —
- الجزء الأول، ص ١٣٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٦) ابن رشيق، العمدة، ج ١، ص ١٥١.

وتمثل القوافي جزءاً هاماً من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة، وبعدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن، وقد حاول أهل العروض تحديد القافية، واتخذوا لذلك تعريفاً لا يخلو من الصنعة والتكلف^(١).

وإن موسيقى الشعر تكتمل بالأصوات المكررة وإن نظام القافية ليست كما زعمه النقاد والشعراء المعاصرون بأنه قيد ثقيل يمنع من التعبير الصحيح ويشغل الشاعر عن الاسترسال^(٢).

في معانيه بالتفتيش عن أحرف الروي المناسبة، وهذه الحجة في ذاتها ضعيفة، لأن اللغة العربية واسعة جداً. وبنيتها تساعد على كثرة القوافي وتنوعها إذ فيها أكثر من ستين ألف أصل ثلاثي ورباعي^(٣).

القوافي الدئل:

هي الباء، والتاء، والذال، والراء، والعين، والميم، المتبوعة بألف الإطلاق، والإجادة فيها عسيرة ليسرها وما يتبع ذلك من الإسهاب والترثرة^(٤).

ونظم شاعرنا في قافية الباء أربع قصائد جاءت مطالعها كالاتي:

أَيْنَ الْمُلُوكِ وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا وَمَا *** ذَخْرُهُ مِنْ ذَهَبِ الْمَتَاعِ الذَّاهِبِ^(٥)

(١) د. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص ٢٤٦.

(٢) د. عبد الله الطيب، ديوان بانات رامة،

(٣) د. عبد الله الطيب، ديوان بانات رامة، ص ٢٦.

(٤) د. عبد الله الطيب، المرشد، ج ١، ص ٢٠.

(٥) الألبيري، ديوانه، ص ٣٢١.

والقصيدة الثانية مطلعها:

تُغَارِلُنِي الْمَنِيَّةُ مِنْ قَرِيبٍ *** وَتَلَحَّظُنِي مُلَاحَظَةً الرَّقِيبِ (١)

والثالثة بعنوان:

أَلِفْتُ الْعُقَابَ حِذَارَ الْعِقَابِ *** وَعَفْتُ الْمَوَارِدَ خَوْفَ الذُّبَابِ (٢)

والرابعة بعنوان:

يُضَيِّعُ مَفْرُوضٌ وَيَغْفَلُ وَاجِبٌ *** وَإِنِّي عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ لَعَاتِبٌ (٣)

وله في التاء ثلاث قصائد الأولى مطلعها كالاتي:

كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السَّكَرَاتِ *** تُعَالِجُ أَنْ تَرْقَى إِلَى اللَّهَوَاتِ (٤)

والثانية:

تَقَّتْ فُوَادِكَ الْأَيَّامُ فَتًّا *** وَتَتَحَتُّ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا (٥)

والثالثة:

قَالُوا أَلَا تَسْتَجِدُّ بَيْتًا *** تَعَجَبُ مِنْ حُسْنِهِ الْبُيُوتِ (٦)

وفي قافية الدال له قصيدتان:

تَمَرُّ لِدَاتِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ *** وَأَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَهُمْ غَيْرُ خَالِدٍ (٧)

والثانية:

فَإِنَّ الرَّدَى غَالٍ أَهْلَ التُّقَى *** فَلَمْ يَبِقَ إِلَّا الْغَشُومُ الْعَنِيدُ (٨)

(١) الإليبي، ديوانه، ص ٧٢.

(٢) نفسه، ص ٣٦.

(٣) نفسه، ص ٨٥.

(٤) نفسه، ص ٥٩.

(٥) نفسه، ص ٢٤.

(٦) نفسه، ص ٧٠.

(٧) نفسه، ص ١١٨.

(٨) نفسه، ص ١٣٥.

وله في الرأ قصيدتان:

الأولى مطلعها:

وَيْلٌ لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ *** ماذا يُقاسونَ مِنَ النَّارِ (١)

والثانية:

عُجْ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْبَابِ الْغَامِرِ *** وَارْبَعٌ عَلَى قَبْرِ تَضَمَّنَ نَاطِرِي (٢)

القوافي النفر:

وهو الصاد، والزاي، والضاد، والطاء، والهاء الأصلية، والواو.

أما الزاي فجاءت فيها كلمات نادرة كزائية الخنساء (*) في صخر (٣).

تَعَرَّقَنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا *** وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرَعًا وَغَمَزًا

وشاعرنا لم يأت بشيء في هذه القوافي سواء قصيدة واحدة وقافيتها

الزاي ومطلعها:

لِبَرَزَتْ فِي مِيدَانِ كُلِّ بَطَالَةٍ *** وَبَرَزَ غَيْرِي فِي التُّقَى أَيَّ تَبْرِيزِ (٤)

القوافي الحوش:

هي الناء، والحاء، والذال، والشين، والطاء، والغين، وكلها قد ركبها

الشعراء، فلم يجيئوا إلا بالغت (٥).

وشاعرنا لم يركب هذه القوافي ليس عن ضعف، وإنما هو صاحب

قضية لذلك أحسب أنه عمد في شعره إلى ما يفهمه الناس ويوصل به دعوته.

(١) الإلييري، ديوانه، ص ١٠١.

(٢) نفسه، ص ٩٠.

(*) تماضر بنت الشريد شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية، كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج ١، مؤسسة الرسالة، ص ١٧٦.

(٣) د. عبد الله الطيب، المرشد، الطابعون مطبعة جامعة الخرطوم، ط ٤، ١٩٩١م، ج ١، ص ٧٥.

(٤) ديوانه، ص ٨٢.

(٥) د. عبد الله الطيب، المرشد، ج ١، ص ٧٩.

الموسيقى الداخلية:

المراد بالموسيقى الداخلية الرنين والإيقاع الداخلي والذي ينسجم مع الأوزان الخارجية من أوزان البحور والقوافي حتى يشكل الجميع وحدة موسيقية واحدة ومتكاملة، وأن ناحية التنغيم والرننة في الشعر وحدها لا تكفي للانسجام فلا بد بين رنين الوزن ورنين اللفظ الملقى عليه.

(ولم يكن الشاعر الجاهلي يكتفي بإيقاع القافية والوزن في قصيدته، بل كان يضم إلى ذلك إيقاعاً داخلياً في صياغتها، كان يلتزمه في انسجام الألفاظ بحيث يعمها الاستواء والتناسق)^(١).

وإن الانسجام هو الذي يوجد بين الموسيقى الخارجية وأعني بها الأوزان والقوافي، والموسيقى الداخلية وهي الإيقاع والرنين (وإن الانسجام هو سر ينبعث من نفس طبيعة الوحدة والتباين ونقيضه الاضطراب والتشويش)^(٢).

الجناس: الجناس الضرب من كل شيء، ويقال هذا يجانس هذا، أي يشاكله^(٣).

وعند البلاغيين هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى وهو

نوعان:

الجناس التام:

وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء، نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها مع اختلاف المعنى^(٤).

(١) الدكتور شوقي ضيف، فصول في الشعر ونقده، ط الثالثة، دار المعارف، الناشر دار المعارف، ١١١٩، كورنيش النيل، ج. م. ع، ص ٣٠٥.

(٢) د. عبد الله الطيب، المرشد، دار النشر جامعة الخرطوم، ط٤، ١٩٩١م، ص ٥٣.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة مصححة اعتنى بتصحيحها أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصاوي العبيدي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٣٣٨.

(٤) السيد المرحوم أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ٣٩٦.

أما الجناس غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة^(١).

ومن أمثلة الجناس عند شاعرنا:

(أ) الجناس التام:

في قوله:

فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى *** مَتَى لَا تَرَعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى (٢)

الجناس تام في قوله: (حتى وحتى).

وفي قوله:

أَنْتِ السَّرَابُ وَأَنْتِ دَاءٌ كَامِنٌ *** بَيْنَ الضُّلُوعِ فَمَا أَعَزَّ دَوَاكِ (٣)

الجناس تام في قوله: (أنت وأنت).

وفي قوله:

وَقَدْ أَرَدْتُهَا سِتًّا حِسَانًا *** وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِئَةٍ وَسِتًّا (٤)

الجناس تام في قوله: (ستا وستا).

(ب) الجناس غير التام:

وَلَيْنَ حُرْمَتُ وَلَمْ يَفْزُقِدْحِي بِهَا *** فَأَنَا لَعَمْرُ اللَّهِ أَخْسَرُ خَاسِرِ (٥)

الجناس في أخسر وخاسر وهو جناس غير تام.

أيضاً في قوله:

وَإِذَا تَقَحَّمَ أَعَزَّلُ فِي مَازِقِ *** كَانَ الْأَسِيرَ وَلَمْ يَكُنْ بِالْأَسِيرِ (٦)

الجناس بين الأسير والأسر وهو جناس غير تام.

(١) السيد المرحوم أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣٠٥.

(٢) الإليبي، ديوانه، ص ٢٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٥.

(٥) المصدر السابق، ص ٩١.

(٦) المصدر السابق، ص ٩١.

كذلك في قوله:

ما يَشْتَهِي نَهْدًا وَلَحْظًا فَاتِرًا *** إِلَّا خَلِيَّ فِي زَمَانٍ فَاتِرٍ (١)
الجناس بين فاتراً فاتر، وهو جناس غير تام.

الطباق:

الطباق والمطابقة يقال (هذا طباق ذاك)، أي يطابقه ويوافقه (٢).

وعند البلاغيين هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان اسمين، نحو: قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ...﴾ (سورة الحديد: ٣).

ومن أمثلة الطباق عند شاعرنا قوله:

تَنَامُ الدَّهْرَ وَيَجَاكُ فِي غَطِيظٍ *** بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهْتَا (٣)
الطباق بين تنام وانتبهتا وهو طباق إيجاب.

كذلك قوله:

وَتَجْلُو مَا بَعَيْنِكَ مِنْ عَشَاهَا *** وَتَهْدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَلَلْتَا (٤)
الطباق بين تهديك وضللت وهو طباق إيجاب.

أيضاً قوله:

فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ *** تَسْوُوكَ حُقْبَةً وَتَسُرُّ وَقْتَا (٥)
الطباق بين تسوء وتسر وهو طباق إيجاب.

(١) الإليبي ديوانه، ص ٩٢.

(٢) لويس معلوف، المنجد في اللغة، الطبعة السابعة والثلاثون، بيروت، ١٩٧٣م، ٤٠٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٤.

(٤) الإليبي، ديوانه، ص ٢٥.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٢٩.

طباق السلب:

وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، أو أمر ونهي كقوله تعالى: ﴿... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾. (سورة الروم: ٦-٧).

وعند شاعرنا في قوله:

وَلَمْ أَشْرَبْ حُمِيًّا أَمْ دَفَرٍ *** وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا (١)

الطباق هنا بين لم أشرب وشربت وهو طباق سلب.

وأيضاً قوله:

وَلَمْ أَحُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظُلْمٌ *** وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَإِنْهَمَلْتَا (٢)

بين لم أحل وحللت، وهو طباق سلب.

وكذلك قوله:

فَلَا تَأْخُذْ بِتَقْصِيرِي وَسَهْوِي *** وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشِدْتَا (٣)

الطباق هنا بين لا تأخذ وخذ وهو طباق سلب.

المقابلة:

ويقال لها التقابل، ويقال أيضاً استقبال ومقابلة القمر والشمس أن يكونا على استقامة مع الأرض، والأرض بينهما.

وعند البلاغيين هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب (٤).

(١) الإليبري ديوانه، ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٥.

(٣) لويس معلوف: المنجد في اللغة، الطبعة السابعة والثلاثون، بيروت، ١٩٧٣م، ص ٦٠٧.

(٤) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، علق عليه ودققه سليمان الصالح، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٣٢٩.

كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِيَرُهُ *
لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِيَرُهُ * لِلْعُسْرَىٰ *﴾.
(سورة الليل: ٥-١٠).

والمقابلة عند شاعرنا في قوله:

وتعري إن لبست لها ثياباً *** وتكسي إن ملبسها خلعتا^(١)
المقابلة هنا بين تعري وتكسي ولبست وخلعتا.
وكذلك قوله:

وضاقي ثوبك الإحسان لا أن *** ترى ثوب الإساءة قد لبستا^(٢)
المقابلة هنا بين ثوب الإحسان وثوب الإساءة.
أيضاً قوله:

وتُفقدُ إن جهلت وأنت باق *** وتوجدُ إن علمت وقد فُقدتا^(٣)
المقابلة هنا بين جهلت وعلمت، وتفقد وتوجد.

(١) الإليبي، ديوانه، ص ٢٦.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٢٧.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين
وبعد.

تناول الباحث حياة الإلبيري وشعره في ثلاث فصول:
احتوى الفصل الأول على حياة الإلبيري وعصره في أربعة مباحث،
المبحث الأول وجاء بعنوان حياته وفيه تحدثت عن ولادته، واسمه، ونسبه،
ونشأته، ومشايخه، ومعاصريه، وثقافته، ومكانته الأدبية، والمبحث الثاني
عصره وجاء تحت ثلاثة مطالب، المطالب الأول الحياة السياسية والثاني
الحياة الأدبية والثالث الحياة الاجتماعية.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن الأغراض الشعرية وقسمت الفصل إلى
أربعة مباحث، المبحث الأول جاء بعنوان الزهد، والمبحث الثاني بعنوان
الوعظ والثالث فقد كان موضوعه الرثاء أما الرابع فجاء بعنوان أغراض
أخرى، وتحتة ثلاث مطالب الأول بعنوان المدح والثاني الهجاء والثالث
الحكمة.

والفصل الثالث بعنوان الدراسة الفنية وفيه خمس مباحث المبحث الأول
بناء القصيدة، والثاني اللغة والأسلوب، والثالث التجارب النفسية الباعثة على
قرض الشعر عند الإلبيري، والرابع الخيال والصورة الشعرية، والخامس
موسيقى القصيدة.

النتائج:

أولاً: تميز شعر الإلبيري بأنه إسلامي بحت، بعيداً عن القومية
والقبالية.

ثانياً: تميز أسلوب الشاعر بالوضوح والسهولة والمباشرة متأثراً
بالرسالة التي كان يحملها وهي رسالة الدعوة والإرشاد وإصلاح المجتمع.

ثالثاً: تأثر الشاعر كثيراً بالقرآن والسنة والمتتبع لشعره يلمح ذلك واضحاً وجلياً.

رابعاً: وتبين من خلال دراسة الحياة الأدبية في ذاك العصر أن المرأة الأندلسية كانت أكثر جرأة من أختها المشرقية في الكشف عن عواطفها تجاه الرجل كما كانت مشاركتها في الحياة الأدبية أوسع مجالاً.

التوصيات:

ومن التوصيات التي توصلت إليها أن هذا البحث قد فتح نافذة على الرقي الأدبي والحضاري الذي اتصفت به الحياة الأدبية في الأندلس، وتلك النهضة الشعرية للفقهاء والزهاد في تلك الفترة ويجدر بي أن أشير إلى بعض المقترحات التي استشفيتها من خلال بحثي هذا:

أولاً: مواصلة البحث حول الفقهاء والزهاد، والشعراء المغمورين وما ضاع من شعرهم، وذلك بعدما طُمت المعالم والحضارة الإسلامية.

ثانياً: إحياء التراث الأندلسي الوفير ومقارنته بين الماضي والحاضر.

ثالثاً: مواصلة البحث حول دور المرأة الأندلسية الشاعره وتاريخ

الشاعرات المغمورات.

الفهارس العامة

وتحتوي على:

- ١- فهرس الآيات القرآنية.
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الأعلام.
- ٤- فهرس الأشعار.
- ٥- فهرس المصادر والمراجع.
- ٦- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١ / سورة الفاتحة:			
١	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.	٦	١٠٥
٢ / سورة البقرة:			
٢	﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾.	١٩٥	٧١
٣	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾.	٢٦٩	٧٠
٤ / سورة النساء:			
٤	﴿ قُلْ مَتَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ﴾.	٧٧	٤٢
٩ / سورة التوبة:			
٥	﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾.	٨٢	٩٢
١٧ / سورة الإسراء:			
٦	﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ﴾.	١٩	٤٢
٧	﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾.	٢٤	٢٤
١٨ / سورة طه:			
٨	﴿ ... وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾.	١١٤	٥٠
٢١ / سورة الأنبياء:			
٩	﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾. ﴿ ... ﴾.	١٠٤	٨٩

٢٢ / سورة الفرقان:		
٩٣	٦٣	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾.
٢٢ / سورة الشعراء:		
أ	-٢٢٤ ٢٢٧	﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا * وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾.
٢٩ / سورة العنكبوت:		
٤٧	٤٣	﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ... ﴾.
٥٧	٥٧	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... ﴾.
٤٢	٦٤	﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ... ﴾.
٣٠ / سورة الروم:		
١٢١	٧-٦	﴿ ... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾.
٣١ / سورة لقمان:		
٥١	٣٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا ... ﴾.
٣٥ / سورة فاطر:		
٩٢	٢٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ... ﴾.
٣٩ / سورة الزمر:		
٤٨	٩	﴿ ... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾.

٩٣	٥٦	﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتُنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ... ﴾	١٩
٤٩ / سورة الحجرات:			
٦٨	١١	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ... ﴾	٢٠
٥٢ / سورة النجم:			
١١١	٦١	﴿ وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ ﴾	٢١
٥٧ / سورة الحديد:			
١٢٠	٣	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ... ﴾	٢٢
٤٣	٢٣	﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ... ﴾	٢٣
٥٨ / سورة المجادلة:			
٤٧	١١	﴿...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ... ﴾	٢٤
٥٩ / سورة التحريم:			
٨٩	٨	﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا... ﴾	٢٥
٩٢ / سورة الليل:			
١٢٢	١٠-٥	﴿ فَأَمَّا مَن أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِّيئِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَن نَحِلَ وَأَسْتَعْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ * ﴾	٢٦
٩ / سورة القارعة:			
٩٣	٩-٦	﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾	٢٧

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث	الرقم
{ حرف الألف }		
٥٢	"أبشروا وأملوا ما يسركم"	١
٤٢	"إزهد في الدنيا يحبك الله"	٢
٩٥	"أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين"	٣
٥٧	"أكثرُوا من ذكر هادم اللذات"	٤
٧٠	"إن من الشعر لحكمة"	٥
{ حرف الزاي }		
٣٩	"الزهادة في الدنيا ليس بتحريم الحلال"	٦
{ حرف الكاف }		
٤٤	"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت"	٧
{ حرف اللام }		
٤٤	"لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة"	٨
٦٠	"ليس منا من لطم الخدود"	٩
{ حرف الميم }		
٩٤	"من كان معه فضل ظهر"	١٠
{ حرف النون }		
٩٤	"نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحصير"	١١

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العالم	الرقم
١٠	ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر الأندلسي	١
٧٧	ابن الأثير: نصر الدين بن محمد الشيباني	٢
١٠٩	أرسطو: أرسطو بن نيقو ماخوس	٣
٧٥	امرؤ القيس: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث	٤
٢٢	باديس: باديس بن حبوس بن ما كسن	٥
٥٠	الباردوي: محمود سامي باشا بن حسن حسني	٦
٩٢	البحثري: بحتري بن عتود بن عنين	٧
٥٣	البيستي: علي بن محمد بن الحسين بن يوسف	٨
٥٥	بشار: أبو معاذ بشار بن برد	٩
٣٥	ابن بشكوال: خلف بن عبد الملك بن مسعود	١٠
٨٠	تأبط شرا: ثابت بن حجر بن سفيان	١١
٧٧	أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث	١٢
٢٣	ابن توبة: محمد بن علي بن محمد بن علي بن توبة	١٣
٨٣	الحاتمي: محمد بن الحسن بن المظفر	١٤
٥٠	الحارث بن حلزة: الحارث بن حلزة بن مكروه	١٥
١٧	ابن حيان: محمد بن يوسف بن علي	١٦
٨٦	الجاحظ: أبو عثمان عمر بن بحر البصري	١٧
٨	ابن الحداد: أبو عبد الله محمد بن أحمد	١٨
٤	ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم	١٩
٤٢	الحسن البصري: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري	٢٠

٤	أبو حفص: عمر بن خلف بن مكى الصقلي	٢١
١١٣	الخليل: الخليل بن أحمد بن عبد الرحمن	٢٢
١٣	ابن خلدون: عبد الحمن بن محمد بن الحسن	٢٣
١١٧	الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الشريد	٢٤
٤٦	ذو الإصبع العداوني: حرثان بن الحارث بن محرث	٢٥
٣٠	الرافعي: مصطفى صادق الرافعي	٢٦
٢٦	ابن رشيق: الحسن بن رشيق القيرواني	٢٧
٦٢	الرندي: صالح بن شريف الرندي	٢٨
٧٩	ابن الزبيري: أبو سعد عبد الله بن الزبيري	٢٩
٢	الزركلي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي	٣٠
٢٩	ابن زنباع: أبو الحسن بن زنباع	٣١
٤٠	الإمام الزهري: أبو بكر محمد بن مسلم	٣٢
٤	ابن زيدون: أحمد بن عبد الله أحمد بن غالب	٣٣
٣٩	سيبويه: عمر بن عثمان	٣٤
٤٩	الإمام الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس	٣٥
٥	ابن شهيد: أبو عامر أحمد بن عبد الملك الأشجعي	٣٦
١٠٧	شوقي: أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي	٣٧
٨٢	شوقي: شوقي ضيف	٣٨
٣٩	الشوكاني: أبو عبد الله محمد بن علي الشوكاني	٣٩
١٠	الضبي: أحمد بن يحيى بن عميرة	٤٠
٨٢	ابن طباطبا: أحمد بن محمد بن إبراهيم العلوي	٤١
٤٧	طرفه: طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد	٤٢
٣٥	أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني	٤٣

٩٩	ابن عربي: محمد بن علي	٤٤
٤٥	عمرو بن العاص: عمرو بن العاص بن وائل بن هشام	٤٥
٤٠	الإمام الغزالي: محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي	٤٦
٥	الغسال: عبد الله بن فرج بن غزلون	٤٧
٥٤	الفضيل بن عياض: ابن مسعود بن بشر التميمي	٤٨
١٠	القاضي عياض: عياض بن موسى بن عياض	٤٩
٨٦	ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم	٥٠
٤٠	القشيري: عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري	٥١
١٠٩	كروتنشه: كروتنشه بنديتو	٥٢
٣٩	الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة	٥٣
٤٠	ابن المبارك: أبو عبد الرحمن المرزوي	٥٤
٤٦	الملتمس: جرير بن عبد المسيح	٥٥
١٠٤	محمد غنيمي: محمد غنيمي هلالي	٥٦
٤٨	ابن مروان: عبد الملك بن إدريس الجزيري	٥٧
٢٧	المعتمد: محمد بن عبد الله بن عباد	٥٨
٣٢	المقري: أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيي	٥٩
٩١	نازك: نازك الملائكة شاعرة عراقية	٦٠
٥٤	الورّاق: محمود بن حسن الورّاق	٦١
٣٣	ولادة: ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن	٦٢

فهرس الأشعار

رقم الصفحة	القائل	البيت	
[قافية الألف]			
٦	ابن الغسال	لم تخط لکن شأنها الصماء	**
٩	ابن الریوالی	ومطولاً فی الدهر حبل رجائه	**
[قافية الباء]			
٧٩	ابن الزبعری	واقبل تضرع مستضيف تائب	**
٥٥	أبو العتاهیه	وأنت لکل ما تهوی رکوبُ	**
٥٨	أبو العتاهیه	ع إلى الفطیم إلى الکبیر الأشیب	**
٢٩	أبو الحسن زنباع	وتسرلت بنضیرها وقشيبها	**
١٠٧	شوقی	هُما الواهی الذي تکل الشبابا	**
٥٧	أبو العتاهیه	إلى حُفرةٍ یحئی علی کثیبها	**
٥٦	بشار بن برد	صديقک لم تلق الذي لا تعاتبه	**
[قافية الجيم]			
١٠١	أبو الحسن	وتاهت بالبغال وبالسرورج	**
[قافية الدال]			
٤٦	طرفه	غوي في البطالة مفسد	**
٧٧	البحثري	دُموعُ التصابي في خُودِ الخرائدِ	**
٨	إسماعيل الفهري	كأنما غيرك المراد	**
٤٦	الملمتس	إلا الأذلان عير الحي والوتد	**
٦٥	البارودي	وأطرت أیة شُعلةٍ بفؤادي	**
٢٨	حمدونه	له للحسن آثار بوادي	**

[قافية الذال]			
٩٩	ابن عربي	ولا أراه آخـــــــذاً	** يا من يراني مجرمًا
[قافية الراء]			
٤٨	مروان ابن عبد الملك	وَأَجَلٌ مُكْتَسَبٌ وَأَسْنَى مَفْخَرٍ	** وَإِعْلَمَ بِأَنَّ الْعِلْمَ أَرْفَعُ رُتْبَةً
٩٢	البحثري	وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ	** نُعْمَى مِنَ اللَّهِ إِصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا
٧٨	امراً القيس	ذُمُولٌ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا	** فَدَعِذَا وَسَلِ الْهَمُّ عَنْكَ بِجِسْرَةٍ
٨	ابن الحداد	فَلَسْتُ أَرَى الْوَزِيرَ وَلَا الْأَمِيرَا	** لَزِمْتُ قَنَاعَتِي وَقَعَدْتُ عَنْهُمْ
[قافية الفاء]			
٨	أحمد الاقليشي	حلوم تقضت أو بروق خواطف	** ثلاثون عاماً قد تولت كأنها
[قافية القاف]			
٨٠	تأبط شرا	إِذَا تَذَكَّرْتُ يَوْمًا بَعْضَ أَخْلَاقِي	** لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السِّنُّ مِنْ نَدَمٍ
٤٩	الإمام الشافعي	مِنْ وَصَلِ غَانِيَةٍ وَطَيْبِ عِنَاقٍ	** سَهْرِي لِتَنْقِيحِ الْعُلُومِ الَّذِي
٨٠	المتنبي	وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقَا	** فَلَا حَطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرَجًا
[قافية الواو]			
١٠٢	خلف ابن فرج الإلبيري	أَبَا الْبَرِيَّةِ إِنْ النَّاسَ قَدْ حَكَمُوا	** رَأَيْتُ آدَمَ فِي نَوْمِي وَقَلْتُ لَهُ
[قافية اللام]			
٧٩	أمرؤ القيس	كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ	** فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ
٥٤	الوراق	وَبُعْدِ فَوَاتِ الْأَمَلِ	** بَكَيْتُ لِقُرْبِ الْأَجَلِ
٧٥	أمرؤ القيس	بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ	** قِفَا نَبَكُ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلِ
٢٨	حفصه الركونية	إِلَى مَا تَشْتَهِي أَبَدًا يَمِيلُ	** أَزُورُكَ أَمْ تَزُورُ فَإِنَّ قَلْبِي
٥٠	البارودي	فَالْحُكْمُ فِي الدَّهْرِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْقَلَمِ	** بِقُوَّةِ الْعِلْمِ تَقْوَى شَوْكَةَ الْأَمَمِ

[قافية الميم]				
٢٧	حمدونه	سقاہ مضاعف الغيث العميم	**	وقانا لفحة الرمضاء واد
٥٦	عمرو بن العاص	ولم ينه قلباً غاويّاً حيث يما	**	إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه
٧٦	بشار ابن برد	فماذا عليه لو اجاب متيماً	**	أبى الطل بالجزع أن يتكلما
[قافية النون]				
٦٢	الرندي	فلا يُغرّ بطيب العيش إنسانُ	**	لكلّ شيءٍ إذا ما تمّ نقصانُ
٢٩	الوزير عبد الله ابن سماك	للتاظرين بأجمل الألوان	**	الروض مخضر الربى متجمل
٤٦	ذو الأصبع العدواني	فلسنت بوقاف على الهون	**	عف يؤس إذا ما خفت من بلد هوناً

فهرس المصادر والمراجع

الرقم	المرجع
١	إبراهيم أنيس (دكتور)، موسيقى الشعر، ط السادسة ١٩٨٨م، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية، ١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة .
٢	إبراهيم علي أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في الأندلس، القاهرة دار الفكر العربي، ط ١٩٧٠م.
٣	إحسان عباس (دكتور)، تاريخ الأدب الأندلسي، دار الثقافة بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٥٦م.
٤	إحسان عباس (دكتور): تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ط ٥، بيروت دار الثقافة ١٩٦٢م.
٥	إحسان عباس (دكتور)، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبه، دار الثقافة بيروت - لبنان، ط ٥، ١٩٧٨م.
٦	أحمد أبو حاقة: فن المديح وتطوره في الشعر العربي، القاهرة، دار الشروق، ط ١، ١٩٦٢م.
٧	أحمد هيكمل (دكتور): الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، ط العاشرة ١٩٨٦م.
٨	امرئ القيس: ديوانه، دار صادر بيروت، بدون تاريخ.
٩	إميليو غرسيه غومت: مع شعراء الأندلس والمنتبي، نقله إلى العربية دكتور الطاهر مكي، دار الفكر العربي، ٩٤ شارع عباس العقاد، مدينة نصر القاهرة، ط ٧، ٢٠٠٤م.
١٠	ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٥٦م.
١١	ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا - بيروت، ط ٥،

١٢	ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق، محمد محمود الطانجي وطاهر أحمد الزاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ب ت.
١٣	ابن الأنباري: (أبو بكر محمد بن القاسم شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات)، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ١٩٦٣م.
١٤	البارودي: ديوانه، شرح علي عبد المقصود عبد الرحيم، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢م.
١٥	البحثري: ديوانه، عني بتحقيقه وشرحه، حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ١٩٦٣م.
١٦	ابن بسام: (أبو الحسن علي بن بسام)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢م.
١٧	البستي: قصيدة عنوان الحكم، ضبطها وعلق عليها، عبد الفتاح أبو غده، لبنان - بيروت، ط ١٩٨٤م.
١٨	بشار بن برد: ديوانه، شرح حسين حموي، دار الجيل، بيروت، ط ١٩٩٦م.
١٩	بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، ناشرون ساحة رياض الصلح، ط جديدة ١٩٨٧م.
٢٠	البيهقي: (أبو بكر أحمد بن الحسين)، السنن الكبرى، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط ٢٠٠٣م.
٢١	الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق، د. مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة، ط ١٩٩٩م.
٢٢	أبي تمام: ديوانه، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق، محمد عبده عزام،

	طبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٣	الثعالبي: (أبو منصور عبد الملك)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق، د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٩٨٣م.
٢٤	الجاحظ: الحيوان، تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٩٦٩م.
٢٥	جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٩م، ط الثانية، ١٩٨٤م.
٢٦	الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تعليق، محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦١م.
٢٧	الجرجاني: الوساطة بين المتبني وخصومه، تحقيق وشرح، محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط ٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ب ت.
٢٨	الجمعية المصرية لنشر الثقافة العالمية: الموسوعة العربية الميسرة، دار الجيل، بيروت، القاهرة، تونس.
٢٩	جودة الركابي (دكتور): في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ط ١٩٦٥م.
٣٠	جورج غريب: الجاهلية فن وأدب وتاريخ، دار الثقافة بيروت، ط ١٩٦٨م.
٣١	الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط الثانية، ١٩٧٩م.
٣٢	ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر وتوزيع إدارة البحوث المملكة العربية السعودية، ب ت.

٣٣	ابن حزم: (أبو محمد علي بن سعيد)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق، وتعليق، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م.
٣٤	حسن خليفة: تاريخ العرب في أفريقيا والأندلس، مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، ط ١٩٣٨م.
٣٥	حسن عطوان: مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيل، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٩٧٨م.
٣٦	الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم)، صفة جزيرة الأندلس، تصحيح وتعليق، إ. لافي برفنصال.
٣٧	ابن حنبل: (الإمام أحمد بن حنبل)، مسند أحمد بن حنبل، الناشر دار سحنون، ط ٢، ب ت.
٣٨	ابن خاقان: (الفتح بن خاقان)، قلائد العيقان في محاسن الأعيان، قدم له ووضع فهارسه، محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، ب ت.
٣٩	خفاجي: (د. محمد عبد المنعم)، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، بيروت، ب ت.
٤٠	خفاجي: (محمد عبد المنعم)، قصة الأدب في الأندلس، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ب ت.
٤١	ابن خلدون: المقدمة، حققها وضبط كلماتها، وشرحها، وعلق عليها، وعمل فهارسها، د. علي عبد الواحد وافي، ط ٢، بيروت، لجنة البيان اللغوي، ١٩٦٨م.
٤٢	ابن خلدون: (عبد الرحمن بن خلدون المغربي)، تاريخ العلامة بن خلدون، منشورات الكتاب اللبناني للطباعة والنشر.
٤٣	خير الدين الزركلي: الأعلام دار العلم للملايين، ط ١، دار العلم للملايين، ١٩٩٢م.
٤٤	الدارمي: (أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن)، سنن الدارمي، سلسلة

	مطبوعات السنة النبوية، ط ١٩٦٦م.
٤٥	الدؤلي: (أبو الأسود)، أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي، فتحي عبد الفتاح، طبعة القاهرة، ١٩٨٠م.
٤٦	الرازي: (محمد ابن أبي بكر)، مختار الصحاح، عني بترتيبه، محمود خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤٧	الرافعي: الجانب الإسلامي في أدب الرافعي، عبد الستار علي السطوحي، دار الاعتصام، ب ت.
٤٨	رجب محمد عبد الحليم(دكتور): العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأشبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة.
٤٩	ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق حواشيه، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت - لبنان. ب ت.
٥٠	الزبيدي: (العلامة السيد محمد الحسيني)، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ط دار الفكر، ب ت.
٥١	الزبيدي: (محي الدين أبي الفضل)، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، ب ت.
٥٢	الزمخشري: (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر)، أساس البلاغة، دار صادر بيروت، ط ١٩٧٩م.
٥٣	الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ب ت.
٥٤	ابن الزمكاني: التبيان في علم البيان، تحقيق: د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٩٦٤م.

٥٥	أبو زهرة: (محمد أبو زهرة)، الخطابة أصولها تاريخها في عصورها عند العرب، الطبع والنشر دار الفكر العربي.
٥٦	ابن زيدون، (أحمد عبد الله بن أحمد)، ديوانه، شرح وتحقيق، علي عبد العظيم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٧	سعد شلبي(دكتور): الأصول الفنية للشعر الجاهلي، القاهرة مكتبة غريب، ١٩٧٧م.
٥٨	السكري: شرح أشعار الهزليين، حققه عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة العروبة، ١٩٤٥م.
٥٩	سامي الدهان: المديح، دار المعارف بمصر، ب ت.
٦٠	سلمى سليمان (دكتور): المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف، المكتبة الثقافية الدينية، ط ١، ٢٠٠٦م.
٦١	السيد أحمد الهامشي: جواهر البلاغة، علق عليه وحققه، سليمان الصالح، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٥م.
٦٢	الشافعي: (محمد بن إدريس)، ديوانه، تحقيق، محمد عفيفي الزغبى، ١٩٧٠م.
٦٣	شوقي ضيف: في النقد الأدبي، ط ٧، دار المعارف، الناشر دار المعارف ١١٩ كورنيش النيل القاهرة.
٦٤	الشوكاني: فتح القدير، ط ٢، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٤م.
٦٥	صلاح جرار (دكتور): قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط ١، ٢٠٠٧م.
٦٦	صلاح خالص (دكتور): إشبيلية في القرن الخامس، دار الثقافة، بيروت - لبنان.
٦٧	الضبي: (المفضل بن محمد)، ديوان المفضليات، ط بيروت، كلية

	أكسفورد سنة ١٩٢٠م.
٦٨	الضبي: كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس.
٦٩	ابن طباطبا: (محمد بن أحمد)، عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغول سلام، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦م.
٧٠	طرفه بن العبد: ديوانه، تحقيق، علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦١م.
٧١	الطغرائي: ديوانه، علي جواد الطاهر، مكتبة النهضة، ط ١٩٦٣م.
٧٢	عاطف جودة نصر (دكتور): الخيال مفهومه ووظائفه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.
٧٣	ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
٧٤	عبد الجليل عبده شلبي (دكتور): الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة ١٦ شارع جواد حسني، ط ١، ١٩٨١م.
٧٥	عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، دار أسامة للنشر والتوزيع.
٧٦	ابن عبد ربه: (الفقيه أحمد بن محمد)، العقد الفريد، تحقيق، محمد سعيد العريان، دار الفكر، ب ت.
٧٧	عبد العزيز عتيق (دكتور): الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط ١٩٧٦م.
٧٨	عبد الله أحمد باقازي (دكتور): حول الحكمة في الشعر العربي، من إصدارات نادي مكة الثقافي الأدبي، ط ١٩٧٦.
٧٩	عبد الله الطيب (دكتور): بانات رامه، ط الخرطوم، الدار السودانية

	للكتب، ١٩٧٠م.
٨٠	عبد الله الطيب (دكتور): المرشد، ط ٤، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٩١م.
٨١	عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي، معجم مؤلفي المخطوطات الرياض، ١٩٩٦م.
٨٢	أبو العتاهية: ديوانه، دار صادر ١٩٦٤م.
٨٣	عز الدين إسماعيل (دكتور): الأدب وفنونه دراسة ونقد، ط ٣، ١٩٦٩م.
٨٤	العسكري: (أبو هلال)، كتاب الصناعتين، حققه وضبط نصه د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨١م، و ط ٢، ١٩٨٤م.
٨٥	العقاد: (عباس محمود)، اللغة الشاعرة، قضايا الفن والتعبير في اللغة العربية، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠م.
٨٦	علي علي صبحي (دكتور): ود. عبد العزيز شرف ود. محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، دار الجيل بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.
٨٧	عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، شارع سوريا.
٨٨	الغزالي: إحياء علوم الدين، ط القاهرة دار إحياء الكتب المصرية العربية، ١٩٥٧م.
٨٩	الفارابي: إحصاء العلوم، حققه وقدم له، د. عثمان أمين، الناشر دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، ط ١٩٤٩م.
٩٠	فضل حسن (دكتور): البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر، ط ١٠، ٢٠٠٥م.

٩١	الفيروز آبادي: القاموس المحيط، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٢م.
٩٢	القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
٩٣	ابن قتيبة، الشعر والشعراء، حققه وضبط نصه ووضع حواشيه، د. مفيد قميحة والأستاذ محمد أمين الضناوي، منشورات مكتبة محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٩٤	القشيري: (عبد الكريم بن هوازن)، الرسالة القشيرية، تحقيق، د. عبد الحلیم محمود، دار الكتب الحديثة.
٩٥	كارل بركلمان، تاريخ الأدب العربي نقله إلى العربية، د. عبد الحلیم النجار، ط٢، دار المعارف مصر، ب ت.
٩٦	لويس معلوف: المنجد في اللغة العربية، ط ٣٧، بيروت، ١٩٧٣م.
٩٧	ابن ماجه: سنن ابن ماجه، حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه، محمود فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢، ١٩٩٢م.
٩٨	المبرد: (أبو العباس محمد بن يزيد)، الكامل في اللغة والأدب، نشر مؤسسة المعارف، بيروت، ب ت.
٩٩	المتلمس الضبعي: ديوانه، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه، حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٠٠	المنتبي: ديوانه، حققه عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد.
١٠١	مجاهد مصطفى بهجت (دكتور): التيار الإسلامي في الشعر العباسي الأول، الجمهورية العراقية وزارة الأوقاف والشئون الدينية، إحياء التراث الإسلامي، ط ١، ١٩٨٢م.

١٠٢	مجمع اللغة العربية: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط دار النشر الهيئة المصرية العامة.
١٠٣	مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، جمهورية مصر العربية.
١٠٤	محمد رضوان الدايه (دكتور): في الأدب الأندلسي، دار الفكر دمشق، سوريا.
١٠٥	محمد زكي العشماوي (دكتور): قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.
١٠٦	محمد عبد الله عنان، دول الطوائف، القاهرة، دار الكتاب العربي لطباعة والنشر، ط٢، ١٩٦٩م.
١٠٧	محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار الشعب القاهرة، ب ت.
١٠٨	مصطفى الشعبة (دكتور): الأدب الأندلسي مصنوعات وفنونه، دار العلم للملايين، ب ت.
١٠٩	مصطفى عليان (دكتور): تيارات النقد الأدبي في الأندلس، ط١، ١٩٨٤م.
١١٠	مصطفى عوض الكريم: الأدب الأندلسي في عصر المرابطين، ب ت.
١١١	المقري: (الشيخ أحمد بن محمد)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر.
١١٢	ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، سنة ١٩٩٠م.
١١٣	أبي نعيم: (الحافظ أحمد بن عبد الله الأصبهاني)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة، ١٩٣٧م.
١١٤	هشام أبو رميلة (دكتور): علاقات الموحدين بالممالك النصرانية

والدول الإسلامية في الأندلس، دار الفرقان، الطابعون جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان - الأردن.	
هناد بن السري: الزهد، تحقيق، محمد أبو الليث، ب ت.	١١٥
الهيثمي: (نور الدين علي بن أبي بكر)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢٠٠١م.	١١٦
يحيى الجبوري: الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ط ١، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.	١١٧
يوسف أبو العدوس (دكتور): مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط جديدة، ٢٠٠٧م.	١١٨
الدوريات:	
جرش للبحوث والدراسات: مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر عن جامعة جرش، العدد الأول، ١٩٩٦م.	١١٩
الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة: نافذة على التاريخ والتراث الإسلامي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٨٧م.	١٢٠
الدكتور نجاح العطار: المعرفة مجلة ثقافية شهرية، السنة الرابعة والثلاثون، العدد ٣٨٦، نوفمبر ١٩٩٥م.	١٢١
الرسائل:	
هذا عبد الله الطيب شاعراً، عمر أحمد صديق أحمد.	١٢٢
الإمام البصيري حياته وشعره، فتحية عوض عبيد الله.	١٢٣

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	استهلال
ب	إهداء
ج	شكر وتقدير
د	ملخص البحث
هـ	Abstract
و - ح	مقدمة
٣٦-١	الفصل الأول حياته وعصره
١٤-٢	المبحث الأول: حياته
٣٦-١٥	المبحث الثاني: عصره وفيه ثلاث مطالب:
٢٣-١٦	المطلب الأول: الحياة السياسية
٣٠-٢٤	المطلب الثاني: الحياة الأدبية
٣٦-٣١	المطلب الثالث: الحياة الاجتماعية
٧٢-٣٧	الفصل الثاني أغراض الشعر عند الإبيري
٥٠-٣٨	المبحث الأول: الزهد
٥٨-٥١	المبحث الثاني: الوعظ
٦٥-٥٩	المبحث الثالث: الرثاء
٧١-٦٦	المبحث الرابع: وفيه ثلاث مطالب:
٦٧-٦٦	المطلب الأول: المدح
٦٩-٦٧	المطلب الثاني: الهجاء
٧٢-٦٩	المطلب الثالث: الحكمة

١٢٢-٧٣	الفصل الثالث الدراسة الفنية
٨٥-٧٤	المبحث الأول: بناء القصيدة
٩٥-٨٦	المبحث الثاني: اللغة والأسلوب
١٠٢-٩٦	المبحث الثالث: التجارب النفسية الباعثة على غرض الشعر عند الإلبيري
١١٠-١٠٣	المبحث الرابع: الخيال والصورة الشعرية
١٢٢-١١١	المبحث الخامس: الموسيقى الشعرية
١٢٤-١٢٣	الخاتمة والنتائج والتوصيات
١٣٥-١٢٥	الفهارس العامة
١٢٨-١٢٦	فهرس الآيات القرآنية.
١٢٩	فهرس الأحاديث النبوية.
١٣٢-١٣٠	فهرس الأعلام.
١٣٥-١٣٣	فهرس الأشعار.
١٤٧-١٣٦	فهرس المصادر والمراجع.
١٤٩-١٤٨	فهرس الموضوعات.